قراءات

في تاريخ الثورة اليمنية

واحدية الثورة

كانت اليمن قبل ثورة الـ26 من سبتمبر 1962م ترزح في شمالها تحت حكم الإمامة المستبد وفي جنوبها تحت استعمار وحماية بريطانيا ومقسمة إلى عدة سلطنات وإمارات ومشيخات وكلا الجزئين يعيشان في حالة من التخلف بفقره وجهله ما عدا مستعمرة عدن. ورغم هذا كان المواطنون في الشطرين أحراراً في تنقلهم وإقامتهم، لا يمنعهم أي مانع، وكانت عدن الملاذ الوحيد لحركة الأحرار المعارضين لحكم الإمام يأمنون فيها من سجن الإمام وبطشه.

اللواء /
علي محمد السعيدي

وعند قيام الثورة والإطاحة بالنظام الملكي شعر الاستعمار بالقلق فتحالف مع الأنظمة الملكية وعمل على تأليب القوى الحاقدة، بغرض القضاء على الثورة ونظامها الجمهوري وإعادة الملكية، إلا أنّ وحدة التحام أبناء الوطن للدفاع عن الثورة أحبط تآمر الاستعمار وحلفائه، حيث توجه المئات من أبناء عدن والمحميات للوقوف بجانب إخوانهم للدفاع عن ثورة سبتمبر المجيدة والالتحاق بالكلية العسكرية والوحدات القتالية وصمدوا حتى اندحرت فلول الملكية، ومنهم من توجه للقتال في قمم الجبال في محافظة حجة وصعدة وصنعاء. وعندما عادوا إلى أهلهم فجروا ثورة الرابع عشر من أكتوبر في جبال ردفان والتي امتدت إلى كل سلطنة وإمارة وبمثل ما اندفعوا للدفاع عن سبتمبر اندفع أخوتهم في الشمال لدعمهم، وفُتحت المعسكرات لتدريبهم وتأمين مسالكهم وكان الشمال آنذاك مأوى لهم حتى تحقق النصر لهم بالتعاون مع الأشقاء من أبناء مصر العربية واختلط دم الأشقاء دفاعاً عن ثورتي 26 سبتمبر و14 أكتوبر وتحققت بعض أهداف الثورتين بالتحرر من الاستبداد والتحرر من الاستعمار واستمر العطاء رغم ما تتابعت من أحداث حتى تحقق الهدف الكبير على يد ابن اليمن البار المشير علي عبدالله صالح يوم الثاني والعشرين من مايو 1990م، فرحمة وغفراناً لشهدائنا الأبرار وعوناً وتوفيقاً لمن توجه نضال الثورتين بمعالجته الحكيمة للقضايا التي كانت تؤرق الكثيرين مثل قضايا الحدود مع المملكة العربية السعودية وسلطنة عُمان وإريتريا.

وما تحقق من نجاح لثورتي 26 سبتمبر 1962م و14 أكتوبر 1963م كان بجهود مناضلين مخلصين والذين تمّ اللقاء بهم من بداية الثورة الأم ففي محافظة "إب"، بعد أن قام الاستعمار البريطاني بحشد قواته وقوات حلفائه من الملكيين ودعمهم بالمال والسلاح تحركوا للسيطرة على مواقع تمكنهم من الانطلاق إلى مواقع أخرى، حتى يحققوا أهدافهم وكانت البداية تمر في مخلاف مريس أهم المناطق في مديرية قعطبة، محاولة السيطرة على المطار في مديرية دمت ومناطق أخرى، حينها وبالمقابل تمّ التحرك من قائد اللواء حينها الشهيد اللواء أحمد بن أحمد الكبسي رحمه الله ثمّ أمير لواء إب الشيخ مطيع دماج على رأس حملة عسكرية وشعبية للقضاء على التمرد في مريس والذي تمّ إخماده في مدينة قعطبة، حصل لقاء ما بين مجموعة من الإخوة مناضلي ثورة 14 أكتوبر، منهم الأخ محمد أحمد البيشي والأستاذ سعيد العكبري وعلي أحمد عنتر ومحسن ناجي العقلة وعلي شايع هادي وقايد صالح الثوير ومن المشايخ الشيخ راجح غالب لبوزة والشيخ محمود البكري والشيخ سيف مقبل القطيبي والشيخ عبدالحميد المحلائي والشيخ صالح مثنى الشاعري والشيخ فضل محمد الشاعري والشيخ عبدالله غابشة والسيد محمد عبدالكريم، وهؤلاء الثلاثة كانوا مقيمين في قعطبة كلاجئين، بعد حركة ما كان يسميها الاستعمار بالشيوعية التي قامت في الجنوب في عام 1957م، وكان لهذا اللقاء نتيجة إيجابية، حيث قاموا بأعمال عسكرية ضد قيادة الملكيين في الضالع مما أدى إلى خروجها والتوجه على بيحان بعد هذا قطعت طريق صنعاء إب تعز وتوجه الشهيد أحمد الكبسي على رأس حملة عسكرية شارك معه الإخوة السابق ذكرهم من أبناء الجنوب لفتح الطريق وتمّ لهم ذلك وكان هذا في يناير 1963م، هذه الحملة تسمى حملة طلحامة والوثن الذي قُتل فيها محمد عبدالله الصوفي قتل فيها النقيب حسين قايد المحمدي والرقيب حسين الحدي والسواق اسمه البيسة بعد هذا طلبت القيادة في صنعاء تحرك الشهيد أحمد الكبسي إلى المحابشة في آخر شهر فبراير 63م، لصد هجوم الملكيين فطلب من الإخوة في الجنوب المشاركة ووصل منهم أكثر ثلاثمائة مقاتل أغلبهم جاءوا مع غالب راجح ومحمود البكري وجاءوا مع القطيبي وجاءوا مع بني المخلعي وكانوا مجاميع، إلا أنّ أكبر عدد مع الشيخ راجح ووصل منهم أكثر من ثلاثمائة مقاتل، إلا أنّ أكثرهم كانوا من جبل ردفان بقيادة المشايخ وهم الشيخ راجح لبوزة، الشيخ محمود البكري، الشيخ سيف مقبل القطيبي، الشيخ عبدالحميد المحلائي، وسعيد صالح وتوجهنا إلى المحابشة التي كان قد سبقنا إليها الشهيد اللواء محمد مطهر واللواء علي قاسم المؤيد، وبعد ثلاثة أشهر جاء الشيخ الشهيد علي عبدالله عنان على رأس حملة تحل محلهم وكان هذا بالتعاون مع القيادة المصرية المتواجدة في المحابشة، وكان قد سبقنا الشيخ علي محسن بن باشا على رأس حملة إلى أفلح الشام، كان بعد عودتنا مع المناضلين

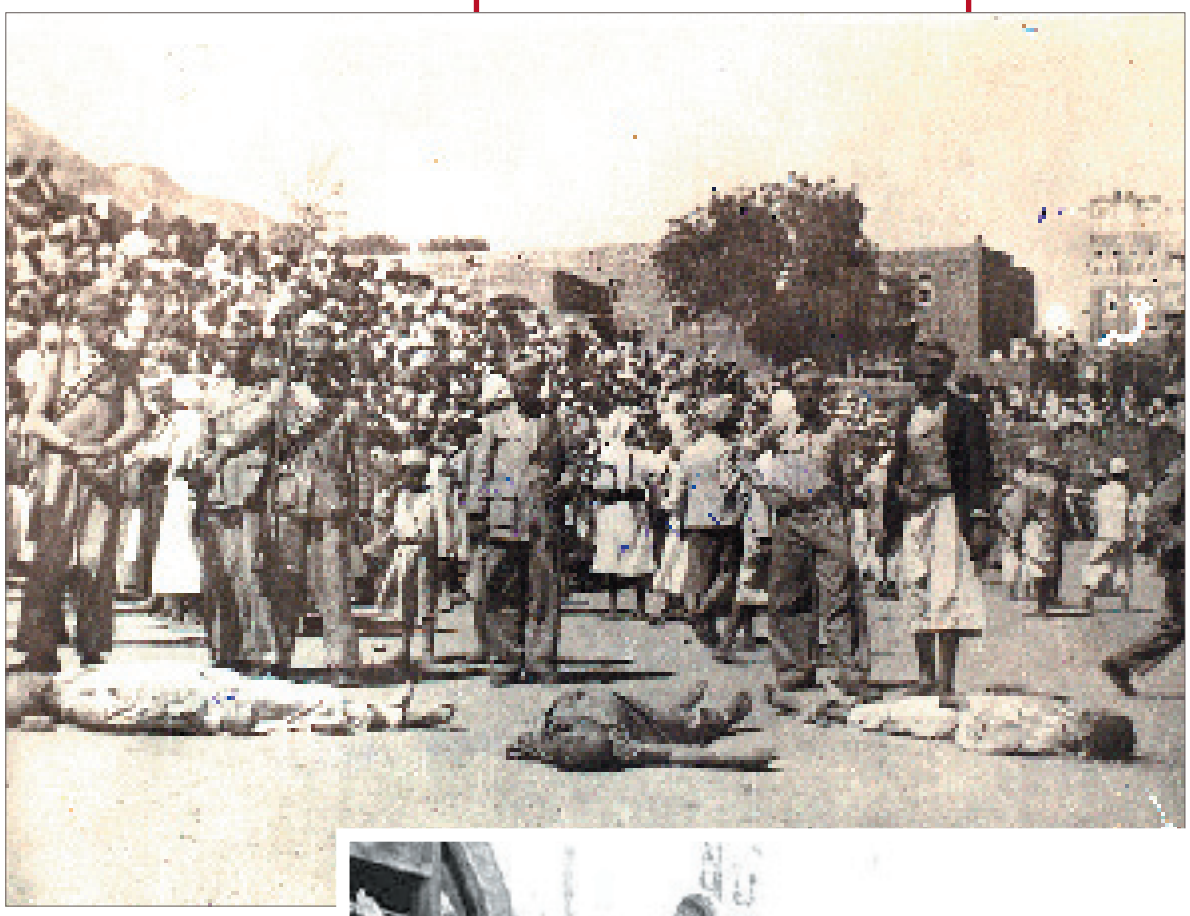

←

الأشقـاء الذين تم تسليحهـم أثناء التوجه إلى المحابشـة ببنـادق "جرمـل طويـل" عـادوا بهـا إلى ردفان حينها، قـام الضابط السياسي بطلب الشيخ راجح غالب لبوزة وزملائـه والذي تأخر منهـم الشيخ سيف مقبل في قعطبة، بعـد أن طردته السلطات البريطانية، طلب منهـم تسليم ما بحوزتهم من أسلحـة حصلوا عليها مـن القيادة في الشمـال فرفضـوا طلبه وجهـزت بريطانيا قـوة إلى الحبيلين ويوم 14 أكتوبر أنطلقت شرارة الثورة واستمرت حتى نهاية نوفمبر، استشهد فيها العديد من أبناء ردفان وعلى رأسهـم الشيـخ راجـح غالب لبـوزة ولجأ الآخـرون إلى قعطبة وبـدأ التفكير بتنظيم القتال ضد المستعمر.

وتحرك الأستـاذ قحطـان الشعبي وكان يغشل وزيـر شؤون الجنـوب وزملاؤه بعد التنسيـق مـع القيـادة المصريـة في مدينة تعـز والـذي كان المسـؤول عنهـا العقيد صفـوت، والمقـدم رجائي، وفتـح معسكر صالـة في 4 ينايـر 64م، استشهد أحمد بن أحمد الكبسي رحمه الله عند خروجه من صنعاء متوجهاً إلى إب في محل قحازة وأسروا من بجانبـه، وأرسلت حملة بقيادة العميـد عبـده محمـد قايد وشـارك فيها مجموعة مـن أبناء الضالـع وردفان وحل محل الشهيد في قيـادة محافظة إب اللواء حسين شرف الكبسـي الذي التقى، بعد تسلمه العمـل بالأستـاذ سعيد العكبري واثنين من زملائه من قيادة الجبهة القومية وطلبوا من اللواء حسين شرف الالتزام بما كانوا متفقين عليه مع الشهيـد أحمد بن أحمـد الكبسي والتـزم لهم بذلك واستمـر الإعداد لبدء معركـة التحرير وكانت مديرية قعطبة هي المـلاذ الآمن لثـوار 14 أكتوبر ومركـز دعمهم وتأمين طرقهم، وفي شهـر تموز 1964م تحركـت الفصائل للعمل الميـداني؛ خمس فصائل على رأس كل فصيلة قائد ميداني هم علي أحمـد عنتر وقايد صالح الثويـر وعلي شائع هادي وصالـح مصلح ومحسن ناجي العقلة وعبدالمجيد المنصوب، ولا ننسـى عبدالله سعيد الشاعري وانضـم إليهم، بعد فترة علـي بن علي هادي وعقالهـم في مدينة قعطبة الحاج محمد المنصـوب والشيـخ محمد عبدالكريم والشيـخ صالح مثنى وقايـد خزينة، وبعضهم لا أذكر أسمائهـم، بعد أن اشتغلت فصائـل التحرير قامـت السلطات البريطانيـة وأمير الضالع بتشكيـل مليشيـا لضـرب قعطبـة وكانت العمليـات.. رد فعـل من الثـوار على المعسكـرات البريطانيـة ورد فعل من المليشيـات البريطانيـة الأميريـة بقيادة الشيـخ عمر محمد العبد الحازه جحـاف وكانت الحرب سجـالاً حرك الضابط السياسـي كتيبتين من جيشـ الليوي كان أهمهـا الكتيبة السادسـة بقيادة علي عبدالله الميسري التـي ألحقت بالثوار خسائر مـن القتلى والجرحى وارتفعت حـدة القتال وطلبنا دعمـاً من القيادة في "إب" دعمنـا برجال وذخائر فدعمونا بسرايـا مـن المجندين بعـد الثـورة، سرية الديمينـي وسرية خشافة وسريـة الدعيس وتحرك اللواء علـي محمد الشامي إلى قعطبة وكان يومها رئيس العمليات الحربية بصنعاء وتحقق بصـدق ما كنا نتوقع وتمّ دعمنا بعدد من البوابير والذخيرة.. وقال كلمـة مؤثرة عندما شاهد في المسـاء الحرب بين الثوار والمعسكـرات البريطانية والنار تشتعل في كل منطقة الضالع هذه هي الثورة.

وارتفعـت حـدة القتـال وجـاء يـوم أعلنت فيـه القيادة البريطانيـة في عدن جعـل منطقـة الضالع، وبالـذات بلاد الشاعـري لأنّ الضالع كانت تعـرف باسم أميري وشاعري، منطقـة عسكرية وحددت المنشورات التـي ألقتها الطائرات يـوم 15 مارس 65م يوم دخول القـوات البريطانية لهذه المنطقـة ولكن البريطانيـين احتلوها قبل الموعـد بيومين أي يـوم 13 / 3 / 1965م وإذا بمدينة قعطبة وعزلها وقراها تستقبل اللاجئين من الشّعار نساءً وأطفالاً وشيوخاً أكثر من خمسـة عشر ألف نسمة وفتحـت البيوت لإيوائهم ومخازن الطعـام الحكومية وغـير الحكوميـة لاستضافتهم واستمرت هـذه المعاناة ما يقـرب من ثلاث سنوات، نالـوا من القوات البريطانية في النهار يضربون دورياتهم والمساء في معسكراتهم في منطقـة تمتد ستين كيلـو من الحبيلين حتـى سناح وكان التنسيق في منتهى الإحـكام بين الثوار والفدائيين في عدن وبـين زملائهم في مختلـف مواقع القتـال في كل منطقة من مناطق الجنوب في أواخر 1966م.

قطعـت القيـادة المصرية الدعم عن قبائـل الجبهة القومية بعد ظهـور جبهة التحرير، فقامت مجموعـة من قادة الجبهة القوميـة بالاتصال بـالأخ اللواء علي محمـد الحيمي، كان حينهـا قائداً للواء إب وكان يحاول التوفيق بين قيادة الجبهة القوميـة وجبهـة التحرير وفي ختـام اللقاء حرر لهـم رسالة لدعمهم، حينها كنت أعمل قائداً بمنطقة قعطبة.. تلقوا دعماً من اللواء محمـد الإرياني عندما كان قائداً للواء تعز صرفها لهم المقدم حمـود محمد السعيدي من مستودعات القاهرة وللتذكـير بدور بعض الإخوة في مسيرة الدفاع عن الثورة لا ننسى دور الشيخ عبدالعزيز الحبيشي والشيخ محمد أحمد منصـور أبو أصبع في حملة قعطبة ودور محمد أحمد منصور ومحمد أحمد الصبري وعزيز الزنداني والأستاذ عبدالحفيظ بهران في حملة إب التي شاركت في فتح الحصار عن صنعاء عـن طريق مُناخة بقيادة اللـواء عبداللطيف ضيف الله، وفي الأخـير جاءت أنشـودة النصر على لسـان عطروش وتحقق يوم الثلاثين مـن نومفبر الذي احتفلنا بـه معهم في الضالع ونحن نجمع وحداتنا لمواجهة الملكية في بدء حصارها لصنعاء وقطعها لطريق نقيل يسلح وتجمعت حملتي إب وتعز الأولى بقيـادة اللواء درهم أبو لحوم وكان رجالـه من جبهة التحرير في أول حملـة هو الهجوم على نقيل يسلح وواجهتم مشاكل لأنّهـم أرادوا أن ينضموا إلى سريـة الصاعقة التي كانت في رأسـ نقيل يسلح فواجهوا الملكيين وقد رتبوا أمورهم وسقط منهم العديد من القتلى والجرحى وتجمعت حملتي إب وتعز بقيـادة اللواء درهم أبو لحـوم.. والثانية بقيـادة اللواء أحمد الفقيه وانضممنـا على حملة محافظة ذمـار بقيادة القاضي محمـد بـن إسماعيل الحجي وانضـم إليهم يومهـا العميد حسين شرف على رأس حملة البيضاء وكان المسؤول الأول العميـد حسـين الدفعي واللواء علـي قاسم المؤيـد واللواء علـي الشامي وعدد من الضباط مـن العمليات العسكرية، والعميد محمد صالح الكهـالي، والعميد زيد الشامي كانوا موجودين في معبر.. الكثير مـن المشايخ من محافظات ذمار والبيضـاء وإب أعلنوا انسحابهم، وشـارك فيها عشرات من جبهة التحرير أذكر منهـم المناضل فضل صائل الذي تحرك معهـم من تعز، قتل وجرح منهـم عدد لا بأس به وعادوا من حيـث أتوا وفي ثاني حملـة تتحرك قتل الشيـخ عبدالمؤمن الشغـدري وجندي عامل إشـارة، كان بجانب أحمد الفقيه وسعـد الظفيري من حملة إب قتـل اشيخ زبن الله العامري وقتـل من محافظة إب عدد كبير من أصحاب الشيخ محمد عايض الحميري وأسر النقيب ناجي محسن أبو رأس وزملاء بجانبـه لا أذكر أسماءهـم.... وأنقذنا بعض المشايخ وقادة الجيشـ الشعبـي من أسـر الملكية، وجاء يـوم الثلاثين من نوفمـبر 67م، بالاختـلاف لا بالائتلاف الـذي كان يُنتظر مـن الزملاء حيث سلكـوا طريقاً غير طريق ثـورة السادس والعشرين من سبتمـبر وجاءت النتيجة بعد أربعة أشهر من تسلمهـم الحكم في عدن حيـث اختلف قادة يمين الجبهة مع قادة اليسار وتمخض الخلاف عن أحداث مارس 68م وهزم اليمين جناح اليسار وأصبح سالمين ورفاقه عدد 15 من قادة الجبهة بعـد أن ضربوا في أبين وفي مدينة قعطبة ومنها تحركوا إلى صنعاء وحركت قيادة قعطبة سريتي مشاة ورشاش بطلب مـن قيادة الضالع، يومها طلب علي شايع هادي وعلي أحمد عنتر، لأنّه كان مهدداً لهم قحطان الشعبي بأنّه يحتل الضالع إلى رأس نقيل الخريبة ودار الحيد لمساعدة إخوانهم من هجوم محتمل كانت قد أعدته قوات الرئيس قحطان الشعبي، وفي صنعـاء تم اللقاء مع الرئيس القاضـي عبدالرحمن الإرياني ورئيسـ الوزراء الفريق حسين العمري اللذين نصحا سالمين ورفاقـه بالعودة إلى داخـل الجنوب والتحرك مـن هناك وتمّ هـذا وجـاء بأحـداث 22 يونيـو 1969م حيـث تسلّم السلطـة سالمـين ورفاقـه واستقبلت تعـز قادة يمـين الجبهة مدنيين وعسكريين العقيـد حسين عثمان عشال وأبو سبعة وأحمد صالح الأحمر وغيرهم واستمر المد والجزر من 69م حتـى 1972م عندمـا حصلت الحرب واحتـلال قعطبة ولقـاء القيادتـين في ليبيـا ومصر والكويت والـذي فتح فيه حوار تحقيق الوحدة وتطـورت الأحداث من سيئ إلى أسوأ وجاءت حـرب مارس 1979م وجـاءت بعدها خلافات الأشقاء في عدن وتلاحم أشقاؤهم في الشمال بقيادة الزعيم علـي عبـدالله صالـح وتفجرت أحـداث ينايـر 1986م واستقبلـت البيضاء وذمار وصنعـاء الأخ علي ناصر محمد وأركان قيادتـه مدنيين وعسكريين وهكـذا حتى جاء اليوم التاريخي الذي قال فيه الرئيس علي عبدالله صالح يوم 30 نوفمـبر 1989م وهذا كان في إب والولـد المناضل سالم صالح محمد رعاه الله كان موجوداً الوحدة أو الموت وتحققت الوحدة يوم 22 من مايو 1990م.

واسمحـوا لي في هذه الندوة أن أذكر أدوار بعض الشهداء المناضلـين الذيـن لم تـرد أسماؤهم في أوراق مـن سبقني من الزمـلاء مثل الشهيـد العقيد محمد ملهـي السعيدي كان قائـد الجيش النظامي في سنـة 48م هذا للتوثيق فقط وللتفكـير المرحوم العقيـد محمد حسن غالـب كان يومها قائـد الجيش الدفاعي في سنـة 48م.. والزعيم سري شايع والشهيـد عبداللطيف قائد بن راجح والشهيد سعيد حسن الحكيمـي المقلب (إبليـس) والمناضل العميـد محمد علي الأكـوع وحسين عنبة وعلي الشرعـي وأخوه وغالب سري، مبخـوت بن علـي سعد وسعـد الصيادي، هـذان مبخوت وحسين عنبة في سنة 48م، كانـوا يجلدونهما ثمانية جلدة يومياً في بـاب دار السعادة دون أن يظهر أي منهما آلامه من الجلد أو يصرخ هذا ما أرجوه من الندوة أن توثق وتعطي كل ذي حق حقه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

دور مدفعية المطار في حصار السبعين يوماً

العميد الركن/
محمد محمد محرم

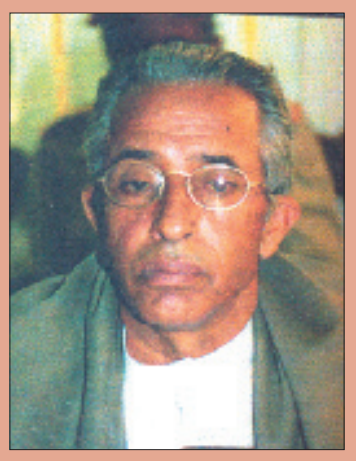

طبعاً أنا سوف أتكلم من زاويتي.. أنا وعملي.. لااستطيع الحديث نيابة عن الآخرين، قد يكون فيها قصور، استلمت مطار الرحبة بأوامر العقيد ناجي الأشول رحمه الله في حوالي 7 أو 8 وكانت أوامر العقيد ناجي علي الاشول أن نجمع كل ماأستلمنا من المدفعية من المنطقة الشمالية من أرحب، من الصمع من بني حشيش الى المطار وأيضاً أن نجمع آخر الأسلحة المدفعية الموجودة مع القوات المصريـة، هـذا لايعنـي اننا كنا نسحب مدفع والطقم بعده، لكن سحبنا الأسلحة، جمعناهـا في مطار الرحبة ومجموعة من المدفعية مختلفة العيارات جمعناها في المطار الجنوبي ومدفعية دون بشر بمختلف عياراتها وكذلك التجمع الآخر عند عباس العماد في الحفاء.. بمعنى أنه كان هناك ثلاثة مراكز تجمع للمدفعية.

كان وضـعنا أضـعف من أي وحـدة بالنسـبة للمدفعية لان المصريـين كانوا يستخدمونها ولم يكن يوجد لدينا أفراد يعملون عليهـا، فلما سحبناها جندوا لنا كتيبة مدفعية مكونة من 150 شخصـاً وزعناهم على معظم الكتائب وأصـبحت كتبتي هي، كتيبـة الميـدان وكان عنـدي مجموعـة مدفعية ميدان تصـل إلي حـوالي 30 مدفعـاً في المطـار، كان وضـعنا هكذا، لانملك مواصـلات لاتوجد لنا أجهزة لاسـلكية، كان محمد القاسمي ومحمد باسـلامة يخرجون بجهاز لاسلكي بعض الوقت، نحن التزمنا بالاوامر ودافعنا بالخط الثاني والأخير، لأن خط الصـمع كان الخـط الأول للدفـاع عن صـنعاء الخط الثـاني كان مطار الرحبة.

في القطاع الجنوبي من العاصـمة كان جبل حروة الخط الأول وماخلفهـا والخط الثاني هو الحفاء والمطار الجنوبي الذي وصـلنا إليه ودافعنا فيه وهكذا دربنا جنودنا، الاغلبية منهم مسـتجدون وظروفهم صـعبة وجاء عندنا لواء الواحدة ـ والذي يسمع يقول لـواء كامل ـ لكنه كان كتيبة بالمطـار وكتيبة في حجة، والكتيبة لايسـاوي عددها الآن سـرية ونصف السـرية جلسوا في مكان اللواء الخامس في خشـم البكرة ولم نسـتطيع أن نلتقي للدفاع معهم في المطار.

وفي المطـار الدولي دعمونا ـ عندنا منطقة واسـعة في المواجهة ـ دعمونا بكلية الشرطة.

وكنا في أيام الحصـار نجلسـ بغير أكل، تخرج سـيارة الكدم وسـائقها عبـدالله موفق وهو لايزال في المستشـفى العسـكري ويتقطع لنا الملكيون ويأخذوا الكدم مابين الروضة والمطار.

وكنا ننتظر حتـى تخرج المقاومة الشـعبية في الليل وكان من حسـن حظنا أنهم يخرجون لنا أهل تجار باب السـلام من أهل حراز ورداع ومعهم "بسـكويت أو تمر" وهـم تجار، هكذا كانت ظروفنا الصـعبة معظم الأحيان تصل المواد الغذائية يوماً وتتأخر يوماً.

طبعـاً أوامر كانت من الفريق حسـن العمري ولم نر أحد من حين بدأ الحصـار وأحكم القفل على صنعاء، وكنا نتلقى أوامرنا من الفريق حسـن العمري رحمـه الله الذي كان يتواجد عندنا وكأنه قائد موقع القائد العام للقوات المسـلحة، يجيء الصـباح وفي الظهر وأحياناً يسـمع الضـرب ويرجع من الطريق وأذكر في بعض أيام كان يجيء لنا في الصباح الباكر.

قد أمسوا يصربون طوال الليل بالمدفعية وهجوم كان في أرحب وكان أحمد الحباري رحمه الله قام بالهجوم وقال لنا أنا أتحداكم وبأهجـم عليكـم وهاجمنـا فعلاً وطالـت المعركة الى الصـباح جاء الفريق حسـن العمـري اعتقد معه اللـواء يحيى المتوكل وعسكري أخر، لأنهم حتى الصـباح كانوا يضربون، وكان عند العسـاكر أوامر ماأحد يدخل عندنا وقت الضـرب قد يسير مع الضـحايا فكان من حـظ الفريق العمري أن قابلـه أحد الأفراد ووقفه هو والسـيارة حقه هناك فطلعت الشـمس وإذا السـيارة تعكس الضـوء مما زاد الضرب علينا، قلنا سيروا شوفوا عسكري ثاني، سـيروا شوفوا من الذي أوقف السيارة هناك يحولها، وقلنا مايكون الا الفريق سـاروا وصلوا فوجد أن جندي صغير أوقف الفريق هناك ماخلاه يدخل الموقع، جاءوا عندنا وجاء عبدالسلام صـبرة فيما بعد، كان أيضـاً قائداً روحياً لم يكن يفارقنا وكانت فرصـة الفريق العمري قال هذا العسكري سـأخذه معي. قال بعض الجنود: "سـيقتله الفريق" قلنا : "لن يعتقله وماذا يقتل فيه" واذا به يعطيه بدلته العسـكرية قال مكافأة والعسكري من ريمه، قلنا كان عيدي له خمسـين ريال أفضل، أيش يعمل ببدلة الفريق، عسكري غير قادر يلبسها ـ العسكري صغير.

هذه الظروف الصـعبة التي كنا نلاقيها وبساطة الفريق القائد الذي كان يعايشـنا دائمـاً بالموقع بروح تحمل الشـباب يقاتلون قتـالاً مريراً، لاقينا حروباً كثيرة كانت تدعمنا المقاومة الشـعبية بأعداد وكل ليلة ياتون لنا بمجموعة ونحاول أن نحتصر من وقتنا في الليل ندربهم ونعلمهم أسـتخدام السـلاح ونعلمهم الحشد والهجوم والانسـحاب المنظم كيف ينزلـون الملاجئ؟ لأننا كنا في أرض مفتوحة والضـرب ضـاري علينا من كل الاتجاهات.. من سوء حظنا أنهم أخذوا علينا دبابة في جبل الأبتر وكانت هي الدبابة التي منعت الطيران والتي كانت تضربنا بدون رحمة.

هذا الوضـع الذي كنـا عليه في المنطقة.. كيـف التعاون بيننا وبـين الآخرين كان علـى يميننا لواء الوحدة بقيـادة المقدم زيد الشـامي والمـلازم محمد عبيـد والملازم أحمد سـالم والملازم الشـهيد محمد حيـدرة والملازم الشـهيد عبدالوهاب الأكوع، وأذكـر الأخوان الذين سـمعتهم أولاً يقولون أنـه كان في نقم، عبدالوهـاب الأكـوع في جبل الطويل وقتلوه هنـاك وهو ينادينا حينمـا هجموا على الجبل بغرض تدمـير المدفع الذي كان فيه، لأنـه أنـا الذي ضـربت لهم بالدفعيـة ليس أحد حتـى طلعوا رأسـ الجبـل وهو يقـول لم يبق بينـي وبين المـوت إلا دقائق، هـذا عبدالوهاب الأكوع يقـول في الجهاز اللاسـلكي قد قتل محمـد حيدرة وقتل عامل الإشـارة ولم يبـق بيني وبين الموت إلا دقائـق.. وفي الأخـير قتل هنـاك وطلع جنـود من المظلات او الصـاعقة تلك المـرة ووجدوهم مقتولين كلهـم داخل الموقع "عامل الإشـارة والملازم محمـد حيدرة والمـلازم عبدالوهاب الأكوع" هذا الذي حصل بنصه.

كان التنسـيق بيننا، ضباط المدفعية نتعاون في توزيع الذخائر، هذا عنده محل يسـتدعي الرشاشـات يبقى نعطيه له 5،14 ونعطيـه ذخائرهـا هـذا يحتاج الى هـون، أخذت الهـون الذي عنـدي واعطيه له من أجل يسـتخدمه، ثم تناقصـت الذخائر علينـا اسـتخدمنا في الأخير تبادل الأسـلحة لتغطـى فراغات الضـرب.. وأقـول لكم أن القيادة كانت تلـك الأيام مهتمة بنا ولم نطلـب في يوم من الأيام ذخيرة مطلقاً كانت الذخيرة عندنا تنتهي ولانعرف إلا والذخـيرة عندنا موجودة داخل الموقع لأن الفريق كان مجوداً وعلى اتصال دائم.

كنا ننسـق مع القبائل، الشـيخ راجح الحواتي رحمه الله كان من أفضـل من تعاون معنا في بني الحارث هو شـيخ بني حوات وكان عندما يرى عدم وصول الكدم يخبز في بيته ويدي لنا خبز مع أن أهل بني حوات كانوا كلهم في الملكية إلا عوائلهم، الشيخ أحمد الحنبصـي رحمه الله، الشيخ حامد خيران، الشيخ يحيى حمود دغيش ويحيى حمود دغيش لنا معه حكاية: قال الفريق لازم تذهبـوا اتطلعوا، أجبنا الملكيون هناك قال رواحوا الى بيت يحيى حمـود دغيش، وصـلنا بـين يحيى حمـود دغيش وقد سـبقنا الملكيون الى هناك، قال له الحباري وهو أحد قادة الملكية في المعركـة: أنت تحضـر لي الجمهوريين الى هنـا يقاتلوني وأنت عـارف.. قال له أبـداً أنتم بالوجوه كلكـم ملكيين وجمهوريين وخرجنـا من هناك يحيى حمود لايـزال موجوداً وكان أول يوم في رمضان قال أنتم بوجهي ملكي وجمهوري قال: لمن ذبحت؟ قـال الشـيخ يحيى حمـود: ذبحت لـك، قال: مابـلا ذبحت للجمهوريـين، قال لا ثم خاطبنا لمن ذبحـت ياخبرة.. قلنا نحن مانعرف شـيء عن الذباحة، فخرجنا من هناك في وجه الشـيخ يحيـى حمود لنعود نقـول للفريق أننا وجدنـا الملكيين ووجدنا فلانـاً ووجدنـا فلاناً وجدنا كذا فصـدق الفريق وهـو منتظر لنا في المطـار حتى عدنـا وتغذينا هناك أول يوم من رمضـان، وكنا

←

amir.indd 1 9/26/07 3:44:17 AM

ننسـق مع القبائل مع سنهوب على أساس أنه كان هناك مقر محمد بن الحسـن وكنا نأخذ الأشـياء هذه ونبلغ بها الفريق.. لم تكن تصـدر لنا أوامر تحريرية، كانت أوامر شفوية والعمليات أدرناها بتلك الطريقة وكان يجـيء الفريق مع بعض القبائل من خبرة علي ناصـر طريق أو آخرين، يريد الإنسـان أن يكتب كثيراً وهو على وقت متسع ويحكي كلها حتى من النوادر هذه الذي أحكيها لكم قد تكون غير مقبولة لكن أيضاً هي أشياء حصلت وأشياء كنا نستحسنها.

حصـلت مشـاكل كنا نحن ومحمـد أبو لحـوم نهدد بـان لدينا من الأسـلحة وكان هدفنا ان نرفع معنويات جنودنـا كنا نقول أن المدرعات خلفنـا والحقيقة لايوجد إلا نحـن بالمطار وكلية الشـرطة وكانت قواتنا لاتتجاوز مائة عسـكري ماسكين له من أقصـاه الى أقصاه الى تبة العرة الى محلات كثيرة، لواء النصـر أنسـحب من بني مطر وجاء عندنا الى المطـار وهو لايسـاوي كتيبة، لايسـاوي 300 شـخص وطلعوا براش وكانت المعنويات عالية جداً.

كان الناسـ يؤمنوا ايمانـاً كبيراً بالثـورة وكان الشـعار (الجمهورية أو الموت) هو شـعار الجميع بقناعة.. كيف، بقناعة عسكري مافطر ماتغدى الـخ وهو يقاتل داخل الموقع كان العسـكري لايمكـن يأخذ معه، حتى طلقة ذخيرة أو يخبئ أو يهرب او يحاول يعمل شـيئاً، هذه أشياء كانت واضحة في سـلوك المقاتلين، شـرف وحرص على الممتلكات والسلاح والعتاد، تحارب وأنت مرتاح أن كل جندي يشعر أنه المسؤول عن المطار، هذه هـي الميزة التي أمتاز بها جنودنا وضـباطنا صـغاراً وكباراً في تلك الظروف.

نكتة: أقولها لما أدخلنا مجموعة من الأسلحة ومن الألغام الملكية التي كانت مجهزة لصـنعاء وبوازيك ورشاشات وذخائر كثيرة استولينا عليها قال الفريق: سـلموها لعبدالله بركات، نحن أخذناها وسـلمناها لوزارة الداخلية اليوم الثاني يجي لطف الكلابي وقد أعطانا خمسـمائة ريال عاد الورقة الحمراء خرجت، كنا نبسـرها ساع الفردة فقلنا للجنود اليوم الفريـق اعطانا خمسـمائة ريال.. قالـوا: والله مانأخذ ريـال هو يحولنا مرتزقـة، قلنـا لا هذا تكـريم أديتم الغـام ونزعتموها مـن محلات كذا واخرجتوها وجاء الوالد المناضـل عبدالسلام صبرة وقال لهم هذه هي جائزة لكم حين أدخلتم الأسلحة والذاخائر الى صنعاء ارضوا بها فهذه لكم وليست لانكم مرتزقة لانكم أبطال ولانكم كذا وكذا هذه المثاليات التي امتاز بها الجنود والضـباط الذين كانوا لايفكرون إلا بالجمهورية أو الموت.. أختصر هذا ومعذرة وشكراً.

ـ المداخلات:

اللواء أحمد المنتصر:

طالمـا أن الورقة حول حصـار السـبعين ولجيش التحريـر دور فيها، فلابد أن تذكر شخصـيات في تنظيم ضـباط الثورة مثل المقدم / أحمد الفقيـه قائد لواء تعز والدور الذي لعبه مع الأسـتاذ محمد عبده نعمان الحكيمي وأمين عبدالواسع نعمان في جمع أكثر من عشرة آلاف مقاتل من جيش جبهة التحرير.

ـ اللواء عزالدين المؤذن:

شـكراً، أخـي الرئيس الحقيقـة أنه قبل مجيء أو وصـول الفريق العمري من القاهرة، اجتمع ضـباط القوات المسـلحة صغاراً وكباراً، في ساحة العرضي وانتخبوا من بينهم قيادة كمجلس للدفاع الأعلى وكانوا ثلاثـة: عزالدين المؤذن ويحيـى المتوكل وحمود بيـدر، هذه المجموعة كانـت مجلـس الدفاع الأعلى، وهـذه القيادة كونـت مكتب في مبنى القيـادة وهـي التي وضـعت الخريطة للقـوات التي ستوضـع في قطاع صـنعاء بكاملـه، وهي القيادة المسـؤولة عن اسـتدعاء او عمل الاوامر للقوات المتواجدة خارج العاصـمة وعلى هذا الاسـاس يبقى الوضع.. ويعني قبل هذه كأنه احتلال كما تفضـل بعض الاخوان لجبل حروة.. ووصلنا الى هناك مع الفريق العمري والشيخ عبدالله بن حسين الأحمر وطبعاً كان عندنا مدفع 37 الذي ظل في هذا الموقع وقتل شـخص من حاشـد اسمه ناصر الشوغري ويومها كان عكارس× جمهورياً وقعدنا في بيته وقد كان يتآمر أصبح ملكياً.

حاولنا نحتل بعض التباب والشـيخ عبدالله عاد الى صـنعاء بعدما جرح كان أيضـاً الاخ حسين المسـوري موجوداً كان قائد سلاح المشاة، خرج مع مجموعة عسـاكر وضربنا ذلك اليوم بهاوانات كانت الهوانات لحسن الحظ دخانية والفريق قرر أن ننسحب من ريمة حميد.

عدنا الى الحفاء هذا أول شـيء، بعده اقفل طريق "صـنعاء ـ تعز" الموقع الثاني بالنسـبة للواء النصـر، لواء النصـر هـذا أول كتيبة تحتل جبل براش، وكان هذا العمل مهم جداً، كان وصـول الأخ اسـماعيل الغفاري وتحركت الكتيبة واسماعيل الغفاري ظل في المؤخرة وفي المطار وصالح ناصر الشقيري أصـبح قائد هذه الكتيبة في جبل براش، وكانوا في سـباق مع الملكية كانوا في سباق مع قاسم منصر، قاسم منصر بالطبع من الجنب الشـرقي وهم صـعدوا من منطقة أخرى، وفعلاً احتلوا هذا الموقـع وتمركزوا فيه وقاتلوا قتال الأبطال بعضـهم حـول الكلية الحربية، الكليـة الحربيـة كان فيها دفعتـان وكان أقدم طالب هو علي الحبيشـي وفيهم أيضـاً ضـباط جاءوا للتأهيل لانهم صاروا ضـباطاً بعضهم رواد وبعضـهم نقباء، لكن لم يدخلوا الكلية الحربية، فكان الضـباط هؤلاء يطلعون مع طلبة الكلية في نقم وعلى أسـاس أنهم طلاب لازم يأخذوا موقعاً خاصـاً بهم، يتوزعون بعد التخرج علـى وحداتهم او يعني أنهم يتخرجـون كذا، فخرج رئيس الأركان في ذلك التاريخ لاأدري سـلام الرازحي أو علي الكهالي وكانوا مجموعة من الضباط وأنا من ضمنهم وتكلمنا مع هؤلاء الضـباط حاولنا معهم وقلنا لهم ياإخوان يارفاف السـلام اليوم هذا لا هو يوم ضـباط ولاجنود ولاصـف ضباط نحـن كلنا جنود لهذه الثورة والجمهوريـة، فكل واحد عقله في رأسه ولازم كلنا نكون صفاً واحداً من أجل الدفاع عن الثورة والجمهورية،، قلت أنا مسـتعد الآن ان أبقى جندياً اسـحبوا رتبي هذه واحضر للدفاع في أي مكان، بقيت القوات طبعاً بعد ذلك في مواقعها.

بالنسـبة للحفاء: كان مجموعـة من الإخوان المدفعية عباس العماد مع محمد المقبلـي مع مجموعة، بعدها جاء احمـد السـمه رحمـه الله، أستشـهد في النهديـن، كان مجموعـة عبدالكريم حميد مـن الأمن المركزي مع محمد القاسـمي من الاشـارة، كان من الموجودين علي أبو لحوم يعـرف لانه احتلها مرة في عصـر.. في المطـار الجنوبي، كان علـي مثنى جـبران واحمد الاصـنج والعبيـدي ومجموعة مدفعيـة هنـاك الى جانب مجاميـع الجيش الشـعبي مع ابن عنان الذين كانوا في عطان والشـيخ عبدالله مع مجاميع في هذه المنطقة طبعاً في عهد طاهر الشـهاري ومجموعة من الضباط الذين مـع محمد علي راجح وعلي حجـر.. بيت عذران تعين عبود مهدي مـع يحيى الغفاري رحمـه اللخ ومجموعة كبيرة هناك فصـيلة دبابات فصـيلة من المظـلات.. في الازرقـين وقبل الأزرقين فـوق وادي ظهر عبدالله عبدالسـلام صـبرة مع احمد الوشـلي مع سـعد الأشول وعلي الجبري والنقيب علي عبدالله صـالح هـؤلاء كانوا في هذا الموقـع بجانبهم وموقع آخر كان احمـد العذيب ومجموعة من الضـباط بقيت في الأزرقين. أحمد عبدالوهاب الأنسـي مع حسـين الرضـي مع عبدالله المؤيـد.. هذا الوضـع بجانب محمـد محرم قد شـرح بنية للمطار الشـمالي من القوات وكان بجانبهم طلاب كلية الشـرطة ومجموعة من المقاومة الشـعبية، واللواء الخامس زيد الشـامي مـع مجموعتين من لـواء العروبة أو من لواء الوحدة.. الـخ المفاجأة التي حصلت كما تفضل الاخوان بالنسبة للغارة التي حصلت في جبل الطويل يعني مواقف أخرى.

بالنسبة للشـهيد الديلمي كان يعمل في مجلس الدفاع ونزل الحديدة يطير، تدرب حوالي أسـبوع او أكثر وعاد الى سماء صنعاء وضربت طائرته فوق منطقة بلاد الروس انسحب ونزل بالبرشـوت اسـتلقفه الملكيـون واعدمـوه. عبدالوهاب جغمان كان في القيادة جاءت دانة مدفعية الى القيادة أستشـهد في ساحة القيادة العامة يعني كثير من الاخوان.

أريـد أن أقول في الأخير ان الفريق العمري هو كان بطل النصـر ولايعني هذا أن نقلل من دور الآخرين، أنا أذكر بالنسـبة لجبل الطويل عندما حصـلت الغـارة كنت مع هذا الجنـدي "الأكوع الذي ذكر الإخوان" كان يقول لي أنا سـأموت ويعني فعلاً سـمعته وهو في اللحظات الأخيرة ولم يتكلم بعدها.

ـ اللواء علي أبو لحوم:

الأخ الرئيسـ أشـكرك علـى إتاحة الفرصـة وإذا كان حمود ناجي يسمع صوتي فسأكون سعيداً.

أولاً: لم يشـترك معنا في فتح طريـق "الحيمة ـ مناخة" ولم أره وكل مـن سـاعدنا هـو عبدالرقيـب بمدفـع 37 واحد.

ثانياً: أحمد ناصـر الذهب كان يقاتل في نقيل يسـلح يـوم فتحنا الحيمة والذي كان معنا هـو النقيب نعمان بن قائـد بن راجح والذي أصـدر الارياني أمـراً اليوم الثاني للفتح بتعيينه محافظاً لمناخة.

ثالثـاً: تلقيـت برقية من القاضـي عبدالرحمن الارياني رحمـه الله "الولد علـي، الولد عبدالرقيـب عجلوا عودتكم، صنعاء محاصرة" وهي موجودة لدينا، وعدنا الى صنعاء واتجهنا الى جنوبها ومنا من اتجه الى المعسكرات.

رابعـاً: جبـل ظفار.. الـذي احتلـه العميد راجح أبـو لحوم مع مجموعـة من نهم، وسـلمه لعبدالرقيب بوثيقة موقعـة من عبدالرقيب نفسـه " اسـتلمت جبل ظفار مـن العميد راجح ابو لحـوم، أرجو من النـاسـ ان يصـححوا اما أن أنكر أي دور إيجابي وأتهم أن أحد قصـر، وكل واحـد أدى دوره وأدى جهده علينا أن نصـل الى الحقائق ونترك التهميش" .. وشكراً للجميع.

واحدية الثورة اليمنية.. حقيقة الوطن وكفاح الإنسان

أحمد محمد الحبيشي

توطئة

ارتبط توحيد الوطن وإعلان قيام الجمهورية اليمنية وتدشين التحول نحو الديمقراطية التعددية في الثاني والعشرين من مايو 1990م، بتطور نوعي في منهج دراسة وتحليل تاريخ الحركة الوطنية اليمنية المعاصرة، وخبرتها الكفاحية في مقاومة الاستبداد والاستعمار، وإخراج اليمن من نفق التخلف والتجزئة والعزلة والقهر، إلى رحاب الحرية والوحدة والتجدد الحضاري.

ولما كان النضال الوطني في سبيل تحقيق الوحدة اليمنية وبناء المجتمع الديمقراطي من أبرز الأهداف التي ناضلت من أجلها الحركة الوطنية اليمنية المعاصرة، وأكدتها ثورة السادس والعشرين من سبتمبر 1962م، وثورة 14 أكتوبر 1963م، فقد اكتسب الحديث عن واحدية الثورة اليمنية ضرورته الموضوعية بعد قيام الوحدة وتدشين التحول نحو الديمقراطية تجسيداً لحاجة الأجيال الجديدة اللاحقة، إلى صياغة وتأصيل وعيها الوطني على نحو يتسق مع الحقائق التاريخية لكفاح شعبنا اليمني ضد الأوضاع المأساوية التي ارتبطت بعهود الإمامة والاستعمار، وبما يؤمن مواصلة الدفع بإرادة التغيير على طريق أهداف الثورة اليمنية، وصيانة وتطوير مكاسبها العظيمة التي تعمدت بالدماء والتضحيات.

تأسيساً على ما تقدّم، يمكن القول إنّ السمات الرئيسية لثورتي 26 سبتمبر و14 أكتوبر كانت قد تشكلت على أساس التجربة التاريخية للحركة الوطنية اليمنية المعاصرة، التي اتخذ نشوؤها وتطورها اتجاهاً تحررياً ضد الاستبداد والاستعمار.

ومنذ البدء كانت الحركة الوطنية اليمنية، بأهدافها وقواها السياسية وشعاراتها وأشكال وأساليب نضالها، تجسد ارتباط العملية الوطنية التاريخية المعاصرة للشعب اليمني بالمجرى العام لحركة التحرر الوطني العربية.

في هذا السياق جسدت ثورة 1948م وما سبقها وما لحقها من انتفاضات وهبّات فردية وجماهيرية وطنية عفوية، بداية استيقاظ الوعي الوطني التحرري لشعبنا في الظروف التاريخية المعاصرة، ذلك الاستيقاظ الذي توافرت له عوامل داخلية وخارجية لتشكل المحتوى الرئيسي للانبعاث الوطني للشعب اليمني في ظروف تاريخية تتسم بأولوية النضال ضد الاستعمار وبقايا القرون الوسطى.

استيقاظ الوعي الوطني

كانت صورة الواقع السياسي والاجتماعي في اليمن تكتسب بداية ملامح جديدة ومتغيرة بتأثير المعطيات والمتغيرات التي أفرزتها الأوضاع في العالم العربي بعد الحرب العالمية الأولى، في بدايات القرن العشرين المنصرم.

ومما له دلالة عميقة أنّ الواقع السياسي والاجتماعي في الجنوب اليمني المحتل كان ينمو ويتشكل وفقاً لمعطيات ومؤثرات الواقع السياسي والاجتماعي في الشطر الشمالي، والعكس صحيح أيضاً، الأمر الذي أسهم في بلورة الهداف التحررية للعملية التاريخية الوطنية المعاصرة للشعب اليمني باتجاه وطني ديمقراطي وحدي في وقت لاحق.

ولئن كانت بريطانيا قد حددت شكل سيطرتها الكولونيالية على الجنوب اليمني المحتل بتقسيمه إلى جزئين، الأول / باسم مستعمرة عدن، والثاني : باسم محميات عدن الشرقية والغربية التي انقسمت بدورها إلى سلطنات وإمارات وولايات ومشيخات مختلفة، فقد كان الوضع القائم في شمال اليمن بالغ التعقيد بسبب اندماج بقايا القرون الوسطى بالطبيعة الثيوقراطية الكهنوتية للدولة والحكم الفردي المطلق من جهة، وكذا بسبب اشتداد حملات القمع والتصفيات الدموية ضد المعارضة الوطنية التي حملت لواء الدعوة إلى الإصلاح والتحديث والتنوير من جهة أخرى.

كان النظام الإمامي الكهنوتي يلجأ في سبيل تثبيت دعائم حكمه، إلى تسعير الحروب القبلية والعشائرية، ومحاربة أي اتجاه يدعو إلى الإصلاح والتحديث، وبالنظر إلى أنّ المذهب الهادوي لنظام الحكم الإمامي كان يجيز الخروج على الإمام الظالم، فقد شهد الشطر الشمالي من الوطن آنذاك حروباً متصلة بين الطامعين في الحكم والوصول إلى مركز الإمامة، ما أدى إلى نشوء نوع من التجزئة المناطقية التي لم تكرس فقط عزلة معظم أجزاء الشطر الخاضع للحكم الإمامي عن بعضها البعض، بل عزلة النظام الإمامي كله عن العالم.

بيد أننا، حين نقرر تأثر اليمن، بشطريه، بهذا النوع من التجزئة والعزلة، فإننا لا ننكر حقيقة أنّ السياسة الاستعمارية والإمامية التي عملت على عزل اليمن وتجزئته، أضعفت، في الوقت نفسه، فعالية هذه التجزئة ولم تسمح لها بأنّ تأخذ أبعاداً استقلالية.

بهذا الصدد تبرز قضية مهمة ذات جانبية لا يمكن إغفالهما :

أولاً : أنّ مدينة عدن، بحكم موقعها كميناء في طرق الملاحة الدولية الاستراتيجية ومركزاً للإدارة البريطانية، كانت مسرحاً للنشاط التجاري والاقتصادي، الأمر الذي أدى إلى أن تصبح عدن مركزاً للاستقطاب، بالنسبة لمجمل أجزاء الوطن اليمني والمناطق العربية والأفريقية المجاورة، خاصة بعد انتقال عدن والمحميات الشرقية والغربية من إشراف الإدارة البريطانية في الهند إلى إشراف وزارة المستعمرات في لندن عام 1937م، ثم انتقال مقر قيادة القوات البريطانية في الشرق الأوسط إلى عدن في وقت لاحق بعد تأميم قناة السويس وجلاء القوات البريطانية عن مصر على إثر قيام ثورة 23 يوليو 1952م بقيادة المناضل العربي الكبير جمال عبدالناصر، واضطرار الإدارة البريطانية إلى إجراء بعض الإصلاحات الشكلية المحدودة في مجالات التعليم المواصلات والخدمات الصحية والسياحية والإسكان والبلديات.

ثانياً : إنّ معرفة الخلفيات السياسية والاجتماعية والميراث الفكري للتيار الوطني المستنير في شمال الوطن. الخاضع للحكم الإمامي، تقود إلى إدراك الخصائص التي حددت شكل ومضمون العمل الوطني في جنوبه المحتل، وعلى وجه التحديد بعد تحول عدن إلى مركز سياسي وإعلامي وتنظيمي للمعارضة الوطنية للنظام الإمامي الاستبدادي.

في هذا السياق، لابد من الإشارة إلى أنّ المعارضة في الشطر الشمالي من اليمن، لم تخل من تيارين أساسيين لعبا دوراً بارزاً في تكوينها التنظيمي ومنحاها الفكري وأسلوب عملها، وهما التيار الحر الذي تعاطى المفاهيم الدستورية والأفكار المستنيرة لمشاهير المفكرين الذين حملوا راية التنوير الديني في العالم العربي أمثال الأفغاني والكواكبي ورفاعة الطهطاوي والشيخ محمد عبده وغيرهم.. وكانت العناصر البارزة في هذين التيارين تتكون من ببعض رجال الدين والأدباء الذين تخرجوا من دار العلوم بالقاهرة، وجامعة الزهر، وجامعة بغداد، بالإضافة إلى بعض القضاة والتجار والعسكريين والمشايخ.

وقد جمعت النزعة الإصلاحية عناصر هذه المعارضة على أساس دوافع سياسية أو دينية نتيجة لأساليب البطش والإرهاب والتنكيل التي كان النظام الإمامي يمارسها ضد المفكرين والتجار والمشايخ والقضاة، بالإضافة إلى ما يراه القاضي عبدالسلام صبرة الذي اعتبر ثورة بعض علماء الدين على الإمام يحيى بأنّها انطلقت من رفضهم للمادة الفقهية التي وضعها الإمام بهدف تدعيم أركان حكمه، والتي تقول :

"من أنتقد الإمام بقلبه منافق، ومن انتقده بلسانه مخطئ، ومن انتقده بيده محارب".

والحال أنّ التوجهات المشتركة لتياري المعارضة الوطنية للنظام الإمامي في شمال الوطن، لم تنحصر فقط في الاعتراض الفقهي على مبادئ الإمامة ونظام الحكم المتوكلي، بل أنّها كانت تمارس المناقشة الفقهية لسياسة الإمام الاقتصادية وأسلوبه في الإدارة ونظام الحكم، وخاصة ما يتعلق بنظام الالتزام الذي يعود إلى القرون الوسطى، ويدخل في أساس نظام الوصاية الإمامي.

وكما هو معروف، فقد كان الإمام يتخذ عدداً من القرارات والأوامر التي تتعلق بتحصيل الضرائب والتمييز الطائفي، ويمارس على أساسها الاستبداد المطلق، ولا يسمح بمناقشة قراراته إلا لمن حاز على درجة الاجتهاد في العلوم الشرعية، وينتمي إلى السلالة العلوية الفاطمية، ما أدى إلى اتساع نطاق المعارضة في أوساط قطاع واسع من علماء الدين والمهتمين بالفكر الإسلامي، والذين كانوا يتعرضون للقمع، ويرسلون على السجون أو إلى ساحات الإعدام عقاباً لهم على مناقشة ومعارضة قرارات الإمام.

ويرى كثير من المؤرخين أنّ نظام الالتزام دخل إلى اليمن عن طريق الأتراك قبل إدخاله إلى أراضي الإمبراطورية العثمانية، وكانت الإدارة التركية، طبقاً لهذا النظام، تعطي التزاماً مقابل نسبة معينة يتم احتسابها على أساس قواعد الشريعة الإسلامية، لصالح نخبة مختارة من كبار ملاك الأراضي والمشايخ والأغنياء، ونتيجة لذلك تعرض الفلاحون وصغار التجار وصغار الملاك لنهب واسع وإفقار شديد دفع معظمهم إلى الهجرة، فيما كان الثراء الفردي والملكية العقارية يتركزان في نطاق ضيق وهلامي، الأمر الذي أعاق تطور الحياة الاقتصادية.

انبعاث وطني عام

كانت تلك لمحة سريعة للمُناخ السياسي الاقتصادي الذي نشأت فيه النواة الأولى للمعارضة الوطنية التي تصدت لنظام الحكم الإمامي الاستبدادي في شمال الوطن.

وعلى تربة هذا المُناخ تشكلت معالم الفكر السياسي الجديد الذي صاغه المعارضون الوطنيون من خلال مجلة "الحكمة"

التي أصدرها الشهيد أحمد عبدالوهاب الوريث في صنعاء عام 1938م، وأغلقها الإمام يحيى عام 1948م، قبل مصرعه بأيام، حيث لعبت هذه المجلة دوراً حيوياً في التمهيد لثورة 1948م الدستورية بواسطة المقالات والدراسات التي عكست الميول الفكرية التنويرية للمعارضة الوطنية، وانصبت في اتجاه البحث حول تاريخ النظم الدستورية الأوروبية والدعوة الجريئة والرائدة على تطبيق الدستور في اليمن، والمطالبة بإجراء إصلاحات اجتماعية والحد من سلطات الإمام.

ولا نبالغ حين نقول بأنّ المُناخ الفكري الذي أوجدته مجلة "الحكمة" بقدر ما يؤشر على بداية قوية لانبعاث وطني عام في الثلاثينيات، بقدر ما أسهم في بلورة حراك سياسي وطني باتجاه التغيير، انطلاقاً من اللحظة التي ظهرت فيها حركة الأحرار اليمنيين في بداية الأربعينات، مروراً بتأسيس الجمعية اليمنية الكبرى عام 1946م، وانتهاءً بقيام الاتحاد اليمني في مطلع الخمسينات.

لعل ما سبق ذكره يُفسر تركيز حركة الأحرار اليمنيين في نشاطها الوطني على معارضة النظام الإمامي الاستبدادي، دون أن تهتم كثيراً بمعارضة الوجود الاستعماري في جنوب الوطن أو التفاعل مع بعض الظواهر السياسية التي أخذت بالظهور كرد فعل للأوضاع الناجمة عن الاحتلال البريطاني.. ومن هذه الظواهر، على سبيل المثال لا الحصر، حركة الجمعية الإسلامية في عدن والتي عنيت بالأمور الدينية والإصلاحية والتربوية، وحركة نادي الشعب اللحجي التي طالبت بدستور تحدد فيه سلطان السلطان، وحركة وحدة حضرموت التي ظهرت في أواسط الأربعينات ودعت على تحقيق وحدة حضرموت بشطريها القعيطي والكثيري آنذاك.

وخلال تلك الفترة أيضاً تأسس الحزب الوطني في حضرموت الذي قاد انتفاضة عام 1951م في المكلا، حيث هاجمت الجماهير قصر السلطان ودار المستشار البريطاني ومزقت العلم البريطاني الاستعماري.

ومن المفيد – بهذا الصدد – أن نشير إلى حركة سياسية خطيرة كانت قد نشأت في سياق ظهور هذه الحركات والظواهر السياسية المحلية، وهي حركة الجمعية العدنية، التي تأسست رسمياً كتنظيم سياسي في مطلع الخمسينات، غير أنّها كانت موجودة فعلياً، كتيار ومفاهيم منذ أواخر الثلاثينات وأوائل الأربعينات.

وما من شك في أنّ هذه الجمعية تركت آثاراً بالغة التعقيد على الواقع السياسي في جنوب الوطن المحتل، ولعبت دوراً بارزاً من خلال صحافتها وكتاباه في رفع شعار "عدن للعدنيـ" والمطالبة بالحكم الذاتي لعدن ضمن إطار الكومنولث البريطاني.

وفي الاتجاه نفسه أسهمت هذه الجمعية، باتجاهاتها الخطيرة ومفاهيمها الانعزالية، في بلورة وتأصيل الاتجاهات الوطنية ا لتحر ر ية التي تصدت لهذه الجمعية، ودحضت مفاهيمها ونزعاتها الانفصالية.

تميز تركيب الجمعية العدنية باحتوائه على قطاع من الطبقة المتوسطة التي كان نموها مرتبطاً بالمشاريع الاقتصادية والأنشطة التجارية التي نجمت عن حركة الإصلاحات الشكلية الضرورية التي أدخلها الاستعمار البريطاني على اقتصاد مدينة عدن تلبية لمصالحه آنذاك.

ولم يكن غريباً أن تتحالف رموز هذا القطاع مع الاستعمار، بهدف مشاركته في إدارة المدينة، حيث تمتعت تلك الرموز بامتيازات مادية ومعنوية نتيجة لتخلف الهياكل الاقتصادية وتحديداً في مدينة عدن، التي كان نشاط السكان فيها يتوزع بين الصيد والتجارة، ولم يكن ثمة أثر يذكر للصناعة، فيما كان التعليم والثقافة محصورين داخل نطاق ضيق جداً.

هكذا ولدت الجمعية العدنية من بين أبناء الذوات وكبار الموظفين الإداريين في الأجهزة الحكومية والشركات التجارية العاملة في عدن، الأمر الذي يفسر تجسيد توجهاتها السياسة لمصالح النخبة الأرستقراطية التي أشرف الاستعمار على تربيتها ورعايتها لتكون سنداً محلياً لأهداف الإستراتيجية البريطانية لشرق السويس إبان الحرب العالمية الثانية وبعدها.

الجدير بالذكر أنّ نشاط هذه الجمعية لم يتم في فراغ سياسي، كما أنّ أجواء الحياة السياسية في عدن حينذاك لم تخلُ من الجدل الثقافي والسياسي تحت تأثير تفاعلات الوضع في المنطقة والمؤثرات الفاعلة في حياة مدينة عدن، حيث ما لبث أن برز تيار أكثر تقدماً من تيار الجمعية العدنية الانعزالي، وهو التيار الجنوبي الذي أخذ تعبيره السياسي والتنظيمي من خلال رابطة أبناء الجنوب التي انطلقت في بداية تأسيسها من الدعوة إلى توحيد كل أجزاء الجنوب.

ولئن كانت الجمعية العدنية قد مثلت منذ بدايتها مصالح النخبة المرفهة التي ارتبطت بالإدارة البريطانية لمدينة عدن، واندمجت ثقافتها ومصالحها مع ثقافة ومصالح بعض الجاليات الأجنبية من دول الكومنولث، والتي تسلّمت مراكز قيادية في الأجهزة الحكومية والشركات التجارية والبنوك الأجنبية، فإنّ حزب الرابطة جسد في الأساس مصالح الطبقة الوسطى في مختلف أنحاء الجنوب اليمني المحتل، والتي بدأ نموها غداة الحرب العالمية الثانية، وقد تعرض قطاع واسع منها – وعلى وجه التحديد التجار وملاك الأراضي من أبناء ما كانت تسمى بالمحميات – لمضايقات السلطات البريطانية باعتبار أنّ سكان عدن، من أبناء المحميات، كانوا يُعاملون كأجانب في عدن ناهيك عن الآثار المعنوية التي تتركها في نفوسهم ممارسات ومفاهيم تيار الجمعية العدنية الانعزالي.

كان ثمّة صراع حاد بين التيارين "العدني" و"الجنوبي" وصفه الأستاذ علي باذيب، رحمه الله، بقوله: "أخذ الصراع بين الجمعية العدنية ورابطة أبناء الجنوب، أو بين أنصار الدعوة إلى الحكم الذاتي والدعوة إلى اتحاد الجنوب وقتاً طويلاً، وقادت صحيفة "النهضة"، وفيما بعد "الجنوب العربي" الحملة الاتحادية.. وتجاه خطر المحاولات والدعوات الرامية إلى عزل عدن وتحقيق الحكم الذاتي لعدن ضمن الكومنولث، فقد اندفع الكثيرون من الفئات المتعلمة والكثيرون من المواطنين إلى التعاون مع الرابطة".

هكذا شهدت فترة الخمسينات، وما قبلها بقليل، نمو وتطور الحركة الوطنية اليمنية أثناء الحكم الإمامي في الشمال والحكم الاستعماري في الجنوب، كما شهدت هذه الفترة أيضاً ظهور بعض الشخصيات الاجتماعية المثقفة، والعناصر الوطنية المستنيرة والتيارات السياسية والفكرية ذات الاتجاهات الوطنية والقومية التحررية في إطار الحركة الوطنية اليمنية المعاصرة.

وتستدعي الأمانة التاريخية، القول بأنّ رابطة أبناء الجنوب، مثلت في ذلك الحين إطاراً وطنياً عريضاً انخرطت فيه غالبية العناصر والاتجاهات السياسية والفكرية الوطنية والقومية، إن لم نقل كلها، والتي شكلت فيما بعد أحزاباً وتنظيمات سياسية لعبت دوراً بارزاً في الثورة اليمنية، ذلك أنّ الرابطة كانت تمثل خلال فترات متعاقبة من الخمسينات ما يشبه التنظيم الجبهوي الواسع الذي يضم مختلف القوى والاتجاهات على أساس محاربة الاستعمار.

كانت كل تلك التطورات التي شهدها الواقع السياسي في شطري الوطن تمهد الطريق لانتقال العملية الوطنية التاريخية المعاصرة لشعبنا اليمني إلى طور جديد ترك تأثيره اللاحق على مستوى الخطاب السياسي الوطني الوحدوي.

ما هو إذن هذا الطور الجديد؟ وكيف تجلى تأثيره على مضمون الخطاب السياسي الوطني الوحدوي؟

الطبقة العاملة والقضية الوطنية

لم يكن ذلك الطور، وما حفل به من تطورات وتفاعلات سياسية وطنية بعيداً عن عامل هام ظهر في حياة البلاد السياسية، وأحدث تأثيراً مباشراً في الوعي الوطني والاجتماعي، والذي تمثل بظهور الطبقة العاملة اليمنية كقوة سياسية منظمة في نقابات غداة حركة إضرابات مارس 1956م في مدينة عدن.

لا يعني هذا التاريخ – بأي حال من الأحوال – تأخر استيقاظ الوعي الوطني والطبقي عند العمال، خاصة إذا عرفنا أنّ أشكالاً جنينية من الطبقة العاملة الوليدة كانت قد ظهرت على طول وعرض البلاد شمالاً وجنوباً، وتركزت في المدن التي برزت فيها الحاجة للأيدي العاملة اللازمة لتشغيل الورش والمرافئ ومحطات الكهرباء الصغيرة ومحالج القطن والمعامل اليدوية وغيرها من المرافق الخدماتية.

بيد أنّ الاستثمارات النوعية والكبيرة، نسبياً، التي قام بها الاستعمار في مدينة عدن أواخر الأربعينات، أحدثت تغييرات على الخارطة الاجتماعية للجنوب المحتل عامة، ومدينة عدن خاصة، حيث غدا ميناء عدن مركزاً هاماً للتجمعات العمالية، بالإضافة إلى توسع نشاط الشركات التجارية الأجنبية.

وفي بداية الخمسينات، وعلى إثر تأميم حكومة مصدق الوطنية للعمليات النفطية في إيران، أنشأت شركة بريتيش بتروليوم مصافي الزيت البريطانية في عدن، والتي أدى قيامها إلى زيادة وزن الطبقة العاملة نوعاً وعدداً، وقد ترافق توسع القاعدة العمالية مع ظهور بعض الأشكال النقابية في الفترة 1951 – 1953م مثل رابطة العمال والفنيين عام 1951م، ونقابة عمال وموظفي خطوط عدن الجوية، وجمعية موظفي سلاح الطيران عام 1953م.

وللإجابة على التساؤل الذي قد يبرز حول أسباب تأخر دخول الطبقة العاملة المجال السياسي قبل إضرابات العمال في مارس 1956م، لابد من الإحاطة بمسألتين على جانب كبير من الأهمية:

أولاً: تميّزت العَلاقة، التي كانت تقوم بين العمل ورأس المال بسيادة العَلاقات القبلية والعشائرية، فقد كانت عملية استخدام العمال في شركات الملاحة بالميناء تتم عن طريق "المقامة" الذين كانوا يستقطبون عمالاً بواسطة هذه العَلاقات باعتبارهم مقاولي أنفار.. وأدى هذا الوضع على إبراز أولئك "المقامة" كرؤساء قبليين وعشائريين للعمال في الميناء، حيث كانت كل مجموعة عمالية تنتمي إلى قبيلة أو منطقة أو قرية معينة في الجنوب والشمال.

ثانياً: لم تكن الجمعيات التي ظهرت في مطلع الخمسينات نقابات منظمة بالمعنى الدقيق. ولعل ذلك يعود إلى اعتمادها على كبار الموظفين، بالإضافة إلى العمال وأصحاب العمل المحليين معاً، وقد ضمت تلك الجمعيات أصحاب العمل إلى جانب العمال في آن واحد، كما هو الحال في رابطة العمال والفنيين التي ضمت التجاريين وأصحاب ورش النجارة المحليين أيضاً، وأصبح بعض قادتها مقاولين كباراً وأصحاب ورش.

وينبغي التأكيد بأنّ الحركة النقابية اليمنية المنظمة لعمال اليمن، والتي ولدت في عام 1956م بمدينة عدن، لم تكن – برغم كل ما سبق ذكره – بعيدة عن العوامل التي أدت إلى إيقاظ الوعي الوطني، كما أنّها لم تكن مقطوعة الجذور عن المحتوى الرئيسي والاتجاه العام للعملية الوطنية التاريخية المعاصرة التي دشنها شعبنا اليمني منذ ثلاثينيات القرن الماضي.

ومما له دلالة أعمق، بهذا الصدد، أنّ أول شرارة أشعلت إضرابات مارس المجيدة عام 1956م كان الإضراب الذي قام به عمال وموظف "بيت البس" الذي كان يمثل أكبر شركة تجارية أجنبية في عدن وجنوب الجزيرة العربية، وذلك احتجاجاً على طرد هذه الشركة للشهيد محمد ناصر محمد، عقاباً له على دوره البارز في تأسيس نقابة عمال وموظفي شركة "البس" وانتخابه سكرتيراً لها.

وقد ألهب النصر الذي حققه العمال بإعادته إلى عمله، حماس العمال مع الشركات الأخرى، وشجعهم على المطالبة بحقوقهم المدعومة، وفيما بعد ثابرت العناصر الوطنية الناشطة على تقوية قنوات الاتصال بالعمال والفئات الأخرى كالطلاب والنساء، وساعدت على تنظيمها وصياغة مطالبها وتوعيتها بالقضية الوطنية عن طريق المحاضرات التي كانت تلقى في تجمعات العمال في البراقات الشهيرة بقرب ميناء التواهي، حيث جرى هناك، لأول مرة، الاحتفال بعيد أول مايو، ورفع شعار الاستقلال والوحدة اليمنية إيذاناً بدخول العمل الوطني مرحلة حاسمة ونوعية.

ولم يكن من قبل الصدفة أن تنفجر، بعد إضرابات مارس العمالية، حركة واسعة من الإضرابات الطلابية ضد السياسة التعليمية، والتي شملت جميع المدارس الحكومية، بالإضافة إلى إضرابات عمال محلج الكود في أبين، والمظاهر الشعبية الضخمة التي انطلقت في شوارع عدن في مايو 1956م احتجاجاً على زيارة اللورد لويد جورج وكيل وزارة المستعمرات البريطانية لعدن، والإضراب العام في أبريل

1958م، ضد فتح أبواب الهجرة الأجنبية إلى عدن من بلدان الكومنولث، وانتفاضة أكتوبر 1958م ضد انتخاب المجلس التشريعي المزيف، وإضراب عمال أمانة ميناء عدن لمدة 14 يوماً في أواخر 1959م، ثم الإضراب العام في أغسطس عام 1960م ضد قانون منع الإضراب.

طور جديد وتناقضات جديدة

كان لحركة الإضرابات تأثيرها الواضح على أساليب الكفاح السياسي، حيث أدى دخول الطبقة العاملة، كقوة سياسة منظمة، في نقابات، إلى رفد العملية الوطنية التاريخية لشعبنا اليمني بطاقات كفاحية هائلة والارتفاع بها إلى مستوى أعمق.

وإذا كان أقصى ما كانت تطلبه الفعاليات السياسية في الجنوب المحتل، قبل قيام النقابات، هو جعل اللغة العربية لغة رسمية إلى جانب اللغة الإنجليزية، فقد ارتفعت عالياً بعد حركة الإضرابات العمالية، شعارات الاستقلال والوحدة اليمنية، التي نقلت الحراك السياسي من الخطب والعرائض إلى الانتفاضات والمظاهرات والإضرابات.

وبطبيعة الحال لم تقف السلطات الاستعمارية موقف المتفرج من هذه التطورات، وهي التي كانت تعمل على درئها منذ انبلاج خيوطها الأولى، إيذاناً بالتحام العمل النقابي بالعمل الوطني.. فقد حاولت السلطات الاستعمارية القضاء على الحركة النقابية، وضرب حركة الإضرابات مستخدمة سلاح النفي ضد العمال من أبناء الشطر الشمالي من الوطن، والفصل من الوظائف الحكومية، فيما غصت الشوارع بالشرطة المسلحة التي أطلقت نيرانها على المتظاهرين من العمال والطلبة، وسقط بسبب ذلك العديد من الشهداء والجرحى.

كما قامت السلطات الاستعمارية باعتقال مئات العمال ونسقت مع أصحاب الصحف لطرد الكتاب الوطنيين منها، وحظر نشر كتاباتهم، وعملت بالتنسيق مع أصحاب الشركات الأجنبية الاحتكارية لتطويق هذا المارد الوليد عبر نشر الإشاعات المغرضة وإثارة المشاعر الطائفية والقبلية، بهدف بث الفرقة بين صفوف العمال والوطنيين.

وأمام هذا التطور الملحوظ في حركة الكفاح الشعبي والأشكال النضالية التي أفرزتها حركة إضرابات مارس الشهيرة عام 1956م، أصبح واضحاً جداً عجز القيادات الرئيسية للحركة الوطنية اليمنية عن استيعاب الدلالات والأبعاد السياسية لدخول الحركة النقابية ساحة الكفاح الوطني.

حتى قيادة حركة الأحرار اليمنيين، وجدت نفسها، من خلال الاتحاد اليمني الذي كان مقره عدن، عاجزةً عن مواجهة ذلك الموقف الصعب الذي تمثل بارتفاع شعار الاستقلال والوحدة اليمنية، وما نجم عنه من إجراءات تسفير تعسفية واسعة ضد أبناء الشمال وملاحقتهم واضطهادهم.

وغني عن القول إنّ قيادة حركة الأحرار اليمنيين لم تكن، أثناء وجودها في عدن، تهتم بالكفاح ضد الاستعمار في الجنوب اليمني المحتل، حيث كانت تركز كل نشاطها السياسي والإعلامي لمواجهة النظام الإمامي والمطالبة بالإصلاحات الدستورية.

والحال أنّ حركة الأحرار اليمنيين لم تستطع، هذه المرة، أن تبقى بعيدة عن إطار الكفاح الوطني ضد الاستعمار البريطاني في جنوب الوطن المحتل، لكن ذلك تمّ في سياق الحراك السياسي العام للقوى السياسية الأخرى وعلى وجه التحديد "رابطة أبناء الجنوب" وقيادة "المؤتمر العمالي" الذي تشكل بعد تأسيس النقابات.. وكان على جميع هذه القوى مراعاة الاحتياجات والمهمات الجديدة التي طرحها تطور الواقع السياسي مثل قضية التحالفات السياسية، والموقف من المخططات البريطانية لطمس الهوية اليمنية والتي بدأت في الظهور بعد رفع شعار الوحدة اليمنية.

وبتأثير هذه التطورات الجديدة ظهر "المؤتمر الوطني" الذي تكون في البداية من الجبهة الوطنية ورابطة أبناء الجنوب والاتحاد اليمني والمؤتمر العمالي ثم دخلت فيه، بعد ذلك، الهيئات الثقافية والأندية الرياضية.

وكان المؤتمر الوطني قد خرج، في الاجتماع الأول لأطرافه، باتفاق على بيان بالأهداف.. ويتضح من تلك الأهداف، التي لا يمكن إغفال تأثيرها على مضمون الخطاب السياسي الوطني الوحدوي بشكل أو بآخر، أنّ الرابطة لعبت دوراً كبيراً ومؤثراً في صياغة ذلك البيان، بحيث جاء متطابقاً مع موقف الرابطة.. وقد نص ذلك البيان على ضرورة قيام دولة واحدة لكل الجنوب، واعتبر شعب جنوب الجزيرة العربية جزءاً من شعب الجنوب العربي الكبير وأقر بحقه في تقرير مصيره بالنسبة للوضع العربي العام في ضوء مبادئ الأمة العربية.

وعلى الرغم من كون هذه الشعارات والمبادئ التي صاغها المؤتمر الوطني متخلفة عن حركة الأحداث، فإنّ العناصر الوطنية الوحدوية رأت أن تتصدى لهذه الشعارات من داخل المؤتمر نفسه.. وقد شرح الأستاذ علي باذيب موقف هذه العناصر من بيان المؤتمر الوطني قائلاً :

"والحال أنّ العناصر الوطنية والتقدمية وجدت أنّها لا تستطيع تغيير تلك الشعارات من داخل المؤتمر آنذاك، ولم يُعد أمامها إلا أحد أمرين.. إما أن تخرج عن هذا الإجماع، أو أن تستمر في العمل من داخل الإطار العام للوحدة الوطنية التي تحققت بواسطة "المؤتمر الوطني"، وتعمل على الدفاع عن قضية الوحدة اليمنية وتأكيد محتواها الديمقراطي الذي ينبغي أن تنبني عليه".

أحزاب وطنية واتجاهات فكرية جديدة

على إثر ظهور الطبقة العاملة اليمنية في ميدان العمل السياسي الوطني وارتفاع شعار "الوحدة اليمنية" و"الاستقلال" في إضرابات مارس 1956م العمالية، برز مشروع اتحاد إمارات الجنوب العربي، وذلك بهدف محاصرة شعار الوحدة اليمنية، وسلب الهوية اليمنية للجنوب المحتل عبر إيجاد استقلال شكلي وهوية بديلة باسم "الجنوب العربي".

كانت سلطنات وإمارات محمية عدن الغربية، التي وقعت معاهدات حماية وصداقة مع الاستعمار البريطاني، تشكل العمود الفقري لمشروع الاتحاد الفيدرالي، فيما بقيت سلطنات محمية عدن الشرقية، (حضرموت – المهرة – سقطرة) خارج إطار هذا الاتحاد الفيدرالي، حيث كان الاستعمار البريطاني يخطط لإقامة دويلة فيدرالية في المنطقة الشرقية مستقلة عن الجنوب. تزامن ظهور مشروع الاتحاد الفيدرالي، في مواجهة شعار الوحدة، مع انحسار موجة العداء للعمل الحزبي، حيث شهدت المنطقة تنامياً ملحوظاً لنشاط حركة القوميين العرب التي قامت بنشاط فكري بارز من خلال نشر أدبياتها، والقيام بالدعاية الواسعة لثورة 23 يوليو المصرية في شمال الوطن وجنوبه، ورفعت الحركة، بقوة، شعار الوحدة اليمنية.

كما قام الماركسيون اليمنيون بتأسيس تنظيمهم السياسي في 22 أكتوبر سنة 1961م باسم الاتحاد الشعبي الديمقراطي، وإعلان ميثاقه الوطني الذي صدر تحت شعار "نحو يمن حر ديمقراطي موحد" وكان أول برنامج سياسي حزبي يضع هدفاً رئيسياً له النضال من أجل توحيد الوطن على أسس ديمقراطية.

وبعد ذلك تأسس حزب الشعب الاشتراكي عام 1962م وكان بمثابة الجناح السياسي للمؤتمر العمالي.

وإذا كانت أوائل الستينات لم تسجل أي ظاهرة تنظيمية علنية لنشاط حزب البعث العربي الاشتراكي، رغم تواجده الملموس كتيار سياسي وفكري في شمال الوطن وجنوبه، إلا أنّ ثمة خيطاً شفافاً ربما كان يربط بين القيادة العليا لحزب البعث في اليمن آنذاك، وقيادة حزب الشعب الاشتراكي، وما يؤكد هذا الاعتقاد، ذلك الدعم المالي والسياسي والأدبي الذي كانت تقدمه القيادة القومية لحزب البعث في سوريا – قبل وبعد وصولها إلى السلطة في مارس 1963م – لقيادة المؤتمر العمالي، وفيما بعد لحزب الشعب الاشتراكي.

ويزيد من تأكيد هذا الاعتقاد أنّ جريدة "العامل" التي كان يصدرها المؤتمر العمالي بعدن، توسعت بشعار "الوحدة – الحرية – الاشتراكية".. وهو الشعار المركزي لحزب البعث، والذي ارتفع، في الوقت نفسه، فوق واجهة المبنى الرئيسي للمؤتمر العمالي بالمعلا.. غير أنّ أول نشاط سياسي علني لحزب البعث في جنوب اليمن وشماله كان قد ظهر في مطلع النصف الثاني من الستينات.

وتأسيساً عليه يمكن القول إنّ فترة الستينات دشنت بداية مرحلة سياسة نوعية اتسمت بوجود أحزاب وطنية واتجاهات فكرية تحررية في سياق التراكم الحاصل على مستوى الوعي الوطني لشعبنا اليمني، الأمر الذي أسقط طوق احتكار رابطة أبناء الجنوب للعمل الحزبي الوطني، وأضعف نشاط وتأثير حركة الأحرار اليمنيين، على صعيد الحياة السياسية للشطر الشمالي من الوطن.

وفي غمرة تنامي الكفاح الوطني والقومي التحرري اتسعت الإضرابات والمظاهرات والانتفاضات الشعبية في الشمال والجنوب على السواء، لتضع العملية الوطنية التاريخية المعاصرة للشعب اليمني أمام أبواب مرحلة جديدة وحاسمة.. فقد كانت الأوضاع السياسية في شمال الوطن تزداد تردياً، في خضم السخط الشعبي العارم، حيث اندلعت في 22 سبتمبر 1962م إضرابات الطلاب في مدارس مدينتي تعز وإب، وسيق إلى سجون الإمام آباء الطلاب من الفلاحين والمزارعين الفقراء، عقاباً لهم على الانتفاضات التي قام بها أبناؤهم.

وليس من قبيل الصدفة أن تنتهي مظاهرات وإضرابات طلاب المدارس في شمال الوطن في صبيحة 23 سبتمبر 1962م، ليبدأ في عدن، بجنوب الوطن المحتل، الزحف الشعبي الكبير على المجلس التشريعي في 24 سبتمبر 1962م احتجاجاً على دمج عدن في الاتحاد الفيدرالي السلاطيني الاستعماري.

وفي جميع هذه الانتفاضات واجه شعبنا صنوف الاضطهاد والإرهاب والقمع، بدءاً بحمامات الدم التي كان يقيمها الحكم الإمامي المستبد في الشمال، ومروراً باعتقال المئات من الوطنيين في السجون والمعتقلات في جنوب الوطن، وانتهاء بإبعاد المئات من أبناء الشمال إلى مناطق الأطراف.

في غمرة هذا الوضع المتصاعد بالغضب والألم.. وبعد يومين من الزحف الشهير على المجلس التشريعي بعدن، ومحاكمة آباء المتظاهرين من طلبة المدارس في مدينتي تعز وإب.. وفي الوقت الذي لم تزل فيه باقية آثار الإرهاب والملاحقات والغازات المسيلة للدموع، وآهات النساء والأطفال والرجال والأسر المكلومة بفقد شهدائها واعتقال آبائها وأبنائها، وبينما كانت عدن وقرى وروابي ووديان وسهول اليمن شمالاً وجنوباً تغفو في هجعتها، ومن حولها الزمن الرابض فوق مدن الخوف ودخان القنابل المسيلة للدموع.. في غمرة هذا الوضع استيقظ شعبنا، فجر يوم السادس والعشرين من سبتمبر 1962م، ليُعلنَ قيام أول جمهورية في شبه جزيرة العرب.. وليبدأ رحلة جديدة في سياق العملية الوطنية التاريخية المعاصرة في اليمن.

ثورة واحدة من أجل وطن واحد

لم يكـن ما حدث صباح يوم 26 سبتمبر 1962م حركة فوقية تستهدف إصلاح اختلالات في هياكل السلطة، أو تعديل توازنات القوى والمصالـح، التي تدير مفاعيل الدولة ووظائفها، على نحـو ما ذهب إليه بعض الذين حاولوا التقليل من الطابع الثوري لذلك الحدث الذي غير بشكل حاسم مجرى التاريخ الوطني الحديث للشعب اليمني.

منـذ اللحظات الأولى لإعلان البيـان الأول للثورة، لم تُعد القضيـة التـي حركت نخبـة طليعيـة وشجاعة مـن الضباط الأحـرار، لإسقـاط النظـام الإمامـي الكهنوتـي، وإقامة أول نظـام جمهوري في شبـه جزيرة العـرب، ملكاً لهـم وحدهم، أو لتنظيمهـم السري الـذي كان له شرف المبـادرة في اقتحام حصـون وقلاع الاستبـداد والاستيـلاء على الإذاعـة.. فقد تطـورت الأحداث منذ ظهور شمـس السادس والعشرين من سبتمبر 1962م ليجد الشعـب اليمني – شمالاً وجنوباً – .. أنّ العمليـة الوطنية التاريخية، التـي بدأها منذ الثلاثينات، وصلت في ذلك اليوم إلى مرحلة حاسمة من الفعالية والإنجاز، بعـد مسيرة كفاحية طويلة من أجـل الحرية، اجترحتها الحركة الوطنية اليمنية المعاصرة وعمدتها بالدماء والتضحيات.

وضعـت ثورة 26 سبتمـبر في صدارة أهدافهـا مهمة تعزيز الكفـاح مـن أجل تحريـر الشعـب اليمنـي مـن الاستبداد والاستعمار على طريـق استعادة وحدته الوطنية وبناء المجتمع الديمقراطـي.. وأنعشت الثورة آمال الملايـين من أبناء الشعب اليمنـي في شمـال الوطـن الـذي تحرر مـن الحكـم الإمامي الكهنوتـي، وجنوبـه الـذي كان يـرزح تحـت نـير الاستعمار البريطـاني في آن واحـد، إيذانـاً بولادة مشـروع وطني شامل للتغيير، تشارك فيه كافة القوى الشعبية التواقة إلى بناء يمن حر ديمقراطـي موحد، يُعيد للوطن المجزأ وجهـه الشرعي الواحد، ويفتح أمامه آفاق الحرية والتقدم والتجدد الحضاري.

ولأنّها كذلك، فإنّ مسؤولية قيادة الثورة والدفاع عنها وتحقيق أهدافهـا الوطنية في مختلـف الميادين السياسيـة والاقتصادية والاجتماعيـة لم تُعد تعني – فقـط – أولئك الرجال الذين غامروا بحياتهم، حين أطلقوا الشرارة الأولى للثورة، بل أضحت مسؤولية وطنية تاريخية للشعب اليمني بأسره، وللحركة الوطنية اليمنية بمختلف قواها وفصائلها وتياراتها الفاعلة في عموم الوطن شمـالاً وجنوباً.. ولعل ذلك يفسر تلاحـم الوطنيين اليمنيين الذيـن هبوا للدفاع عـن الثورة والجمهورية، وقدمـوا أرواحهم مـن أجل أن تبقـى راياتها وبيارقها خفاقـة، وكان بينهم آلاف المتطوعـين الذين انطلقـوا من جنوب الوطنـي المحتل للدفاع عنهـا، في أروع تجسيد عملي لوحـدة النضال الوطني للشعب اليمني الذي التف حول ثورته، ودافع عن مبادئها وأهدافها.

صحيـح أنّ ثـورة 26 سبتمـبر واجهت تحديـات ومهمات ضخمـة ومعقدة في الشطـر الذي حررته مـن النظام الإمامي الاستبـدادي، وواجهـت فيه امتحـان المواجهـة الحاسمة مع الهجوم المعـادي للثورة من قبل فلول النظـام الإمامي البائد، والتـي خاضت ضـد الجمهوريـة الفتية حربـاً ضروساً بهدف إسقاطهـا .. بيـد أنّ الثـورة وبفضل تحولهـا إلى مشروع وطني شامـل للتغيير واجهـت تحديات البقـاء والاستمـرار في كل الجبهـات، وبضمنهـا جبهة الكفاح من أجـل تحرير الوطن من الاستعمار، حيث تحولـت المكاسب الأولى للثورة، في مقدمتها قيام الجمهورية، إلى قاعدة للنضـال الوطني التحرري الشامل ضد الاستبـداد والاستعمار، ومن أجل الحريـة وبناء المجتمع الجديد. على هذا الطريق كان وفاء ثورة 26 سبتمبر لأهدافها الوطنيـة قوياً وعظيماً، وأضحت مهمة تحرير الجنوب المحتل من الاستعمـار البريطـاني جـزءاً لا يتجزأ من مهـام أول حكومة وطنية تشكلت بعد قيام الجمهورية وذلك من خلال تخصيص حقيبـة وزارية لشـؤون الجنوب المحتـل، وتوظيف كل قدرات وإمكانـات الثـورة والجمهورية لدعـم نضال الحركـة الوطنية اليمنيـة في الجنوب المحتل ضد الاستعمـار سياسياً وعسكرياً ومالياً وإعلامياً.

ولئن كانت ثـورة 26 سبتمبر شكلت دعمـاً هائلاً لمفاعيل الحـراك السياسـي الجماهـيري في جنـوب الوطـن المحتـل، فقـد جاءت ثـورة 14 أكتوبر 1963م، بعـد عام واحد من قيـام الجمهورية لتشـكل مرحلة جديدة ومتطـورة في النضال التحرري ضـد الاستعمار، إذ أصبحت جمهورية 26 سبتمبر قاعدة صلبـة للحركة الوطنية اليمنيـة بأسرها، وخلفية راسخة لحرب التحرير الشعبية التي خاضتها فصائل ثورة 14 أكتوبر، تحت شعـارات الاستقلال والوحدة بدعـم وإسناد من النظام الجمهـوري في شمـال الوطن، الأمـر الذي أسهـم في تعميق الوحـدة العضويـة للثورة اليمنيـة، وتأكيد واحديتهـا في إطار عملية وطنية ثورية موحدة الأهداف والمبادئ.

بوسعنـا القـول إنّ ثورة 26 سبتمـبر 1962م كانت منذ قيامها، امتداداً متطوراً لنضال الحركة الوطني اليمنية المعاصرة، منـذ الثلاثينات وعلى امتـداد الأربعينـات والخمسينات، ثمّ جاءت بعد ذلك انطلاقة جديدة على خلفية هذه الثورة تمثلت بقيـام ثورة 14 أكتوبر المسلحـة 1963م، التي عملت على توسيع النطـاق الجغرافي للحراك الثـوري الجماهيري بتحويل الجنـوب المحتـل إلى ساحـة ممتـدة للمقاومـة المسلحـة ضد الاستعمـار وركائزه. ومما له مغـزى عميق أن يكون مفجرو ثورة 14 أكتوبر هـم أولئك المقاتلون الأبطال الذين توجهوا من ردفان إلى صنعاء للمشاركـة في الدفاع عن ثورة 26 سبتمبر، وبعـد انتهاء مهمتهم الوطنية عادوا إلى قراهم في ردفان، وقاوموا القوات البريطانية التي جاءت لمحاصرتهم ومصادرة أسلحتهم، عقابـاً لهم علـى مشاركتهـم في القتـال دفاعاً عـن جمهورية سبتمبر. وخلال هذه المواجهات، التي بدأت يوم الحادي عشر مـن أكتوبـر 1963م، استشهد قائد هـذه المجموعة المقاتلة وهـو الشيـخ غالب بن راجح لبـوزة صبيحة يـوم 14 أكتوبر 1963م الذي تحول إلى شرارة أشعلت ثورة شعبية مسلحة اجتاحـت كل الجنوب المحتل. على امتـداد السنوات الأربع منذ انـدلاع ثـورة 14 أكتوبر، ضد الاستعمـار البريطاني في جنوب الوطـن 1963 – 1967م، كانـت الثورة اليمنية تخوض معارك وطنية متكاملة علـى جبهتي الدفاع عن الثورة ونظامها الجمهوري في الشطر المتحـرر من الاستبداد الإمامي، ومقاومة الاستعمـار ومشروع اتحاد الجنـوب العربي في الشطر الـرازح تحت نـير الاستعمـار. وتميـزت نهاية عـام 1967م بتحقيق انتصارات تاريخيـة للثورة اليمنية في جبهتي المواجهة الرئيسيتـين، حيث حققـت الثورة اليمنية جـزءاً من أهدافها الإستراتيجية في الجنوب بطـرد الاستعمار وانتزاع الاستقلال وإسقـاط المشـروع الاستعماري السلاطينـي الذي استهدف تكريـس التشطير وإلغاء الهوية اليمنيـة للجنوب المحتل، عبر إقامـة ما كان يسمـى باتحاد الجنوب العربي الـذي لقي حتفه يـوم الثلاثـين مـن نوفمـبر 1967م، بإعـلان الاستقلال، وإلغـاء الكيانـات السلاطينية التي كرسـت التجزئة، وتوحيد سلطنات وإمـارات الجنوب، واستعادة الهويـة اليمنية في إطار نظام وطني علـى طريق الوحدة اليمنية. وكمـا حققت الثورة اليمنيـة انتصارهـا الحاسم في جبهـة المواجهة مـع الاستعمار ومشاريع التجزئة في نهاية عـام 1967م، تمكنت الثورة أيضاً مـن تحقيق انتصـار حاسم جديـد على العدوان الـذي شنته بقايا النظام الإمامـي القديم بهدف إسقاط الجمهورية والقضاء على الثـورة.. وكانت ملحمة المقاومة الشعبيـة وتحطيم حصار السبعين يوماً الـذي استهدف إسقاط مدينـة المدائن اليمنية صنعـاء، عاصمة الجمهورية ومهـد الثورة، دليـلاً إضافياً على رسوخ الثورة ونجاحها في تحويل مشروع التغيير الوطني الشامل الذي بدأ يـوم 26 سبتمبر 1962م إلى وجهة تاريخية ثابتة لتطـور المجتمع اليمني يصعب التراجـع عنها. ما من شك في أنّ الثـورة اليمنية تعرضت لبعـض الأزمات والتشوهات التي تسببـت في تأخير إنجاز أهم أهداف الثورة اليمنية وفي مقدمتها الوحدة والديمقراطية، حيث جاء استقلال الشطر الجنوبي بعد حرب أهلية بـين فصائل ثورة 14 أكتوبـر أسفرت عن إنفراد إحداها بالسلطة، ونزوح الفصائل الأخرى إلى الشطر الشمالي مـن الوطـن الـذي كان في ذلك الحـين يواجه خطـر الحصار المفروض على صنعـاء. أدى استقلال الشطر الجنوبي إلى قيام دولتـين شطريتين تعلنـان انتماءهما الشرعي للثـورة اليمنية، فيما تكرسـان على الأرض أوضاعاً لا تاريخيـة، وتؤسسان في اللاوعي، قطيعة مع الثورة وأهدافها.. وبوجود دولتين شطريتين أصيبـت الوحـدة الوطنية للشعب اليمنـي بنكسة موجعة لم تعرفاه منذ نشـوء الحركة لوطنية اليمنيـة المعاصرة، ودخلت الدولتان الشطريتان في حروب ومواجهات مسلحة أسفرت عن حمـى استقطابات داخلية وتحالفات خارجيـة ترافقت مع قيام كل منها بتقنين عدد من الإجراءات والقيد التي ألحقت ضرراً بالحريات العامة والحقوق المدنية، للمواطنين، وفي مقدمتها تقييد حرية تنقل الأفراد، ومنع انتقال المنتجعات الوطنية والمطبوعات والصحـف والكتب بين الشطرين، فيمـا جرى، بصورة متبادلة إحاطة هذه الأوضـاع المأساوية بمُناخ متوتر اتسم بتغليب الميول نحـو الاستقطاب الأيديولوجي، وانتشـار الأوهام التي روّجت لوجود نظامين متمايزين متوازيين لا يمكن أن يلتقيا إلا بتكريس أحدهما، وإلغاء الآخر.

بيد أنّ تلـك الأوضاع لم تكن قادرة على تجاوز الحقائق التي صاغتهـا الثورة في وعي شعبنا وأجيالـه الجديدة وأصبحت حر الزاويـة في مسار التطور اللاحـق للمجتمع اليمني.. فقد قيض للثورة اليمنية أن تستنهض، مجدداً، قدرتها على مواصلة تحقيق أهدافها والانتقال إلى طور جديـد يتسم بالاستمرارية والإنجاز، خـلال فترة حكـم الرئيس علي عبـدالله صالح الـذي دشن منذ وصولـه إلى السلطة عـام 1978م، بداية مرحلة جديدة أخرجـت الثورة اليمنية مـن حالة الركود التـي أصابتها، منذ أواخـر الستينات على خلفية ظهور دولتين شطريتين متنافرتين، ومـا رافقهما من نـزوع للإلغاء والإقصاء، أسفـر عن صراعات داميـة وجراح غائرة. ومن نافل القـول إنّ الرئيس علي عبدالله صالح أدرك، منذ البدء، الثمـن الباهظ الذي دفعه شعبنا، من رصيـد وحدته وحقوقـه في الحرية والأمـن والاستقرار، بسبب الوضع الناجم عن وجود دولتين شطريتين، بالإضافة إلى الركود الخطير الـذي أصاب الثـورة من جراء الأضـرار الخطيرة التي لحقت بأهـم أهدافها وهمـا الوحدة والديمقراطيـة. ولعل ذلك يفسـر اهتمام الرئيس علي عبدالله صالح بإعادة الاعتبار للثورة اليمنية وتاريخها، وبذل أقصـى الجهود لإطفاء الحرائق وإيقاف حمى الاستقطابات والصراعات الداخلية، وإشاعة ثقافة الحوار والتعايش، ومحاصرة نزعـات الإقصاء والإلغاء، بين الشطرين، وصولاً إلى تحقيق الوحدة والديمقراطية يوم 22 مايو 1990م.

ولئن تمكنت الثـورة اليمنية، خلال الحقبة التي ارتبطت بقيادة الرئيس علي عبدالله صالح، من استعادة وهجها وزخمها، وإنجاز أهدافها الوطنية وفي مقدمتها الوحدة والديمقراطية والتنمية، فإنّ الإنجـازات التي تحققت، خـلال هذه الحقبـة الثورية الجديدة، التـي بدأت في يوليو 1978م، بقدر مـا تؤشر على بداية طور تاريخي جديٍ في مسيرة الثورة اليمنية التي دشنت قبل أربعين عامـاً مشروعاً تاريخياً وطنياً للتغيير الشامل، بقدر ما تؤشر أيضاً على حقيقة واحدية الثورة اليمنية (26 سبتمبر و14 أكتوبر)، وقدرته على إخراج الوطن من الوضع اللا تاريخي الذي يتعارض مـع مبادئها ويتصادم مع وجهـة تطورها. لقد تميزت هذه الحقبة، ليس فقط بالقدرة على استنهاض مفاعيل الثورة باتجاه التغيير، بل وبقدرتها على أن يكون مشروع التغيير جزءاً أصيلاً من اتجاه التطور التاريخي للثورة، علـى طريق تجاوز الأوضاع الاستثنائية القائمـة، إلى الأفق الوطني الشامل.. بمعنـى أن يكون مشروع التغيـير الثوري مجسداً لواحدية الثـورة اليمنية، التي انطلقت يوم السادس والعشرين مـن سبتمبر 1962م، وتجددت يوم الرابـع عشر من أكتوبـر 1963م، كضـرورة تاريخية لتحرير الوطـن كله مـن نير الاستبـداد والاستعمـار، واستعادة وجهه الشرعـي الواحد، وإعادة بناء الإنسـان على طريق بناء مجتمع ديمقراطي جديد ومزدهر.□□

الثورة اليمنية.. سبتمبر وأكتوبر واحدية الجذور.. وجدلية الترابط

د. هشام محسن السقاف

إلى ندوة الثورة اليمنية (الإنطلاق .. التطور .. آفاق المستقبل) التي نظمتها صحيفة 26 سبتمبر خلال الفترة من 19 ـ 24 سبتمبر 2002م صنعاء الثورة اليمنية .. سبتمبر وأكتوبر واحدية الجذور وجدلية الترابط.

واحدية الجذور

بعد مرور أربعين عاماً من قيام ثورة الشعب اليمني في 26 سبتمبر 1962م وتسع وثلاثون عاماً من إندلاع الثورة في المناطق الجنوبية من الوطن ابتداء من 14 أكتوبر 1963م وانطلاقاً من جبال ردفان الشماء فان المرء باستطاعته الآن أن ينظر للحدث بعيون فاحصة ويقلبه على منوال الحقائق التاريخية ليخرج بخلاصات علمية لاتتجنى على الوقائع ولاتزيف التاريخ وانما توثقه وتعنى به وتقدمه إلى جيل مابعد الثورة مشبعاً بروح الولاء الوطني وحافظاً دور الرواد من رجالات الحركة الوطنية اليمنية دون مغالاة أو انتقاص بما يحفظ تاريخنا من التزييف والبهتان. فنحن اليوم بأمس الحاجة للكشف عن تاريخنا لكي تتواصل الأجيال القادمة بشخصيتها الحضارية، ولكي تضيف إلى رصيد بلادنا النضالي وتساهم مع أمتها العربية والإسلامية في إثراء الحضارة الإنسانية، وكما ندعو للتوثيق لقضايانا الوطنية وإبراز المجهول منها فإننا ندعو ايضاً إلى التحليل العلمي الجاد لهذه الوثائق من منظور وطني قومي وإنساني عميق، حيث أن الوثيقة دون قراءة متعمقة وتحليل لمحتواها ومؤشراتها تفقد أهميتها التاريخية.

(الرئيس علي عبدالله صالح ـ حصار صنعاء ـ شهادات للتاريخ ـ مركز الدراسات والبحوث صنعاء الكتاب الأول، ط "1" 1989م، ص6).

لقد شكلت الثورة اليمنية حدثاً سياسياً واجتماعياً متقدماً متسقاً في فعله ومتناغماً في أدائه، منسجماً في توقيته وزمانه، وكانت الحدث الأبرز في القرن العشرين تكاملاً ونجاحاً، في سفر طويل من محاولات اليمنيين التي لم تتوقف يوماً للخروج من عهود الانحطاط والتخلف تلك التي فرضتها مشيئة المتحكمين من الطغاة والمستعمرين الذين توارثوا حكم البلاد بالجور والظلم والاستبداد، ولذلك .. لم تكن الثورة السبتمبرية الوطنية التحررية عام 1962م إلاّ تتويجاً طبيعياً لمجموع النضالات والمحاولات والحركات الوطنية خلال التاريخ السابق لسبتمبر 62م ضد الظلم وضد السياسات الاضطهادية والقهرية للسلطة والأمامية الكهنوتية المتحجرة من جهة، ومن اجل التحرر من الاستبداد والاستعمار ومخلفاتهما من جهة ثانية، وإقامة دولة الوحدة من جهة ثالثة (د. سلطان عبدالعزيز المعمري، العمق التاريخي لدولة الوحدة اليمنية .. ومراحل النضال الوطني في سبيل إعادة تحقيقها، الندوة العلمية: اليمن وحدة الأرض والإنسان عبر التاريخ، جامعة عدن، 12 ـ 14 فبراير 2001م ص 205).

ويكون من الإنصاف والعدل، بعد أربعة عقود من عمر الثورة أن نبين ماهية الحدث السبتمبري الذي أطل على الناس بملامح وجه جديد ومدى تأثيره الزلزالي المباشر في عموم الوطن اليمني كما رأيناه رأي العيان يتجلى في الحراك الجماهيري الواسع في مدن الوطن وقراه، جباله وسهوله بما لم تشهد له البلاد مثيلاً وباستجابة واعية وبشائر واعده تعتد بما حدث في صنعاء وتضعه في محور إدراكاتها القادمة لتغيير الواقع السياسي والاجتماعي باتجاه استشرا في نحو العصر وبالخروج من نفق الواقع الإمامي المزري في الشمال وتحرير الجنوب من نير الاستعمار البريطاني الذي جثم على هذا الجزء العزيز من الوطن قرناً وربع القرن الذي بدأ يتحسس رأسه أكثر من أي وقت مضى منذ اللحظات الأولى لانتصار ثورة السادس والعشرين من سبتمبر 1962م.

لقد ظلت صنعاء حتى في العهود التي لم تكن الإرادة السياسية فيها مهيأة للاضطلاع بدور تاريخي يأمن الاستقلال السياسي ويوحد البلاد، ينظر إليها على أنها العاصمة التاريخية لليمن الطبيعية والمنقذ للمنتظر الذي يحرر الأجزاء اليمنية التي سقطت في يد القوى الاستعمارية الخارجية وكانت الملاذ الآمن الذي يلجأ إليه الثوار هرباً من بطش المستعمرين، فرغم وقوعها في قبضة الحكم الرجعي الإمامي كانت صنعاء هي مناط الوجود اليمني وعاصمة اليمن التقليدية التي تتطلع دائماً كاستمرارية تاريخية إلى بسط سلطانها على جميع اطرافها وإلى ان تتحول إلى حاضره مركزية للدولة اليمنية الموحدة، كما ظلت حتى بعد ظهور عجزها الكامل عن تحقيق الوحدة اليمنية تنظر إلى المناطق الجنوبية المحتلة باعتبارها أجزاء منتزعة من اليمن الطبيعية الكبرى (د. محمد علي الشهاري الخروج من نفق الاغتراب واحداث ثورة ثقافية في اليمن دار الفارابي بيروت 1983م ، ص23) وعلى خلفية الأحداث التي شهدتها البلاد طيلة العقود التي سبقت قيام الثورة تقاطر الرجال من أبناء المناطق الجنوبية الثائرين والمنتفضين على الوجود الاستعماري في أرضهم وعلى الأوضاع السائدة في مناطقهم تقاطروا إلى الشطر الآخر من وطنهم المملكة المتوكلية بعفوية الانتماء الواحد وبإحساس وطني لايجارى باحثين عن عمق آمن وطامعين في الدعم والإسناد ليعاودوا الكرة على العدو ولقد تأكدت هذه الحقيقة الوطنية حتى لكل من أراد أن يدرس على الطبيعة واقع المنطقة ولكل من أراد لمس مشاعر الناس العميقة والدفينة فيها وتجلت بصورة خاصة لبعثة جامعة الدول العربية التي سافرت إلى شمال اليمن عام 1957م، والتقت هناك بوفود عدة من

جنوبها .. وقد تضمن تقرير هذه البعثة التي كانت برئاسة أحمد الشقيري، الذي قدم من قبله إلى الجامعة العربية في 17 إبريل 1957م ما يلي: (تبينت البعثة ان في الجنوب اليمني حركة قوية عامة بين مشائخ القبائل والعشائر وسائر المواطنين تهدف إلى التحرر من السلطان الأجنبي، للانضمام إلى اليمن، الوطن الأم، إيماناً بوحدة اليمن شماله وجنوبه والروابط القومية العربية) (المرجع السابق ص 27 قصة الدستور اللحجي محمد علي لقمان، عدن 1952، ص 223).

وبالمقابل كانت عدن المكان الملائم الذي قصده النعمان والزبيري وبقية زملائهم من الأحرار اليمنيين في مطلع الاربعينيات من القرن الماضي، هاربين بفكرهم الإصلاحي المستنير من بطش الإمام يحيى حميد الدين، فأستفادوا من المناخ السياسي والثقافي السائد فيها، واكتسبوا الحظوة والدعم من رجالاتها ومثقفيها، مما ساعدهم على تأسيس حزبهم فيها عام 1942م، ولم تكن الظروف السياسية في مستعمرة عدن تسمح لحزب الأحرار اليمنيين في ذلك الوقت بأن يذهب إلى أبعد من مقاومة النظام الأمامي وحتى هذا الأمر لم يكن ليسلم تماماً من تجاذبات السياسة والمصالح بين الأمام والإنجليز حيث أغلقت السلطات البريطانية مقره بإيعاز من النظام في صنعاء "د. عبدالغني غانم، مجلة سبأ، العدد 8 ديسمبر 1999م ص5". وقد شهدت اليمن في الخمسينيات من القرن الماضي تصعيداً في جذوة النضال الوطني التحرري ضد الاستعمار البريطاني في عدن ونظام الحكم الأمامي في صنعاء، وقد لعبت الأحزاب السياسية التي تشكلت في هذه الفترة، دوراً كبيراً على المستوى الوطني شمالاً وجنوباً في شحذ همم المواطنين ودفعهم للنضال والانعتاق من النظامين المستبدين، على أساس وحدوي لايضع التفرقة بين المناضلين، بل كانت الغالبية العظمى من هذه الأحزاب والتنظيمات الوطنية تعبر عن رؤية وحدوية بل وقومية وحدوية بل وقومية شاملة، وتدرك أن القضية الوطنية كل لايتجزأ في الشمال أو الجنوب. فقد شهدت الساحة اليمنية أول محاولة تنظيمية على المستوى القطري كله تمثلت ـ إضافة إلى ظهور التيار الناصري ـ في إنشاء فرع حزب البعث القومي في اليمن،وفي تأسيس فرع حركة القوميين العرب فيها، وفي قيام الاتحاد الشعبي الديمقراطي، ذي الاتجاه الماركسي، وكان ذلك ـ بغض النظر عن البعد القومي أو الأممي لهذه التنظيمات والتيارات ـ أول تجسيد تنظيمي "للبعد الوطني" في شكل أحزاب يمنية، وكان ظهور هذه المنظمات والتيارات السياسية أبرز مظاهر واصدق دليل على انبعاث الوعي الوطني الوحدوي، وعلى الطموح السياسي نحو إعادة تحقيق وحدة الوطن اليمني على أسس تحررية ديمقراطية ("د. الشهاري المرجع السابق، ص 29" وقد جاء انعقاد مؤتمر الطلاب اليمنيين الدائم بمصر) في 23 يوليو 1956م ليدعم قضية النضال الوطني اليمني، باعتباره لايتجزأ، وبصيغ لاتخضع للموارية أو المناورة حيث جاء في القرار الأول لذلك المؤتمر: (يؤكد المؤتمرون بأن اليمن الطبيعية واحد لايتجزأ وقضيتها قضية واحدة ذات كفاح واحد في سبيل التحرر الوطني والوحدة الشاملة) كما أن اللجنة التنفيذية التي شكلها المؤتمر أصدرت في 5 أغسطس 1956م بياناً تقول فيه: (إن قضية الشعب اليمني قضية تحرر من الاستبداد والاستعمار، والكفاح ضد الاستعمار إنما يعني استكمال الاستقلال الوطني لشعبنا مع كفاحه ضد

←

الاستبداد من اجل امتلاك السيادة الشعبية بقيام حكومة شعبيـة ديمقراطية لكل اليمن) (د. أحمـد القصير، مجلة الحكمة، عمر الجاوي ذاكرة التجمع، العدد 221، خريف 2002، صـ88)، إن تطور الفكـر السياسي في الوسط الطلابي الدارس في مصر وغيرها من البلدان، كان انعكاساً لمـا طرأ من تغييرات تعميقية في المسلك والنهج، لكثير من أطراف الحركة الوطنية اليمنية، بالاتجاه الذي يواكب حالة المد القومـي، وتنامي حركة التحـرر الوطنية في غير مكان من الوطن العربي، مدعومة بقوة من قبل مصر عبدالناصر، مـا أشعـل روح المقاومـة والكفـاح ضـد المستعمريـن في نفوس الجماهير العربية مـن طنجة إلى المنامـة، وكان من غـير المنطقي أن يتـم الحديث عن البعـد القومي بتجلياته الطموحـة .. الوحدة العربية، في وثائق الكيانات السياسية اليمنيـة، دون ان يجـري تنـاول قضية الوحـدة اليمنية، كمدخل اشتراطي، ملـزم يمنياً، للوصول إلى الغاية العربية المنشـودة، فبدونهـا يختل توازن المعـادل الوطني في البعد العروبي بما لايستقيم عراه ولاتتوافق روابطه فشعار الوحدة اليمنيـة أخـذ مكانة أدبيـات الاتحاد "اليمنـي" في عام 1985م، ويمكـن أن نقـول: إن كلا الشعارين ـ الوحدة والعدالـة الاجتماعية "الاشتراكيـة" ـ كان صدى للبعثة السياسيـة العربيـة واليمنيـة في تلك الفـترة، وعلى وجه التحديـد الوسط الطلابي في اليمـن بالقاهرة الذي كانت هذه خبـزه اليومي، بإجماع منقطع النظـير، شعار الوحدة اليمنية ورفض كل الاتجاهات السياسية: الاتحاد الفيدرالي للمحميـات، الدولـة الجنوبيـة التي نادت بهـا رابطة ابناء الجنوب في مارس 1956م، ولابد أن نميز هنا بين مواقف الاتحـادات السياسية وكتابـات الزبيري، فـإذا كان شعار الوحـدة اليمنية، برز ضمن بعض بيانات الاتحـادات السياسيـة في هـذه الفـترة، فـإن شعـار الاشتراكية، لم يـرد أبداً في أدبيات الاتحاد الرسميـة، وظل اجتهاداً للشهيـد الزبيري "أسـرار ووثائق الثورة اليمنية، لجنة من الضباط الأحرار، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ص36".

الجيش اليمني:

كان الجيش اليمني ضمن نسيج الوطن والشعب والحركة الثورية المنادية بالتغيير، لعب ذات الدور كلمـا سنحت الظروف وواتته الفرصـ، وإذا كان هذا الجيش قد سخر بعد رحيـل الأتراك من اليمن عام 1918م، بمسعـى وتوجيـه مـن أركان نظـام المملكـة المتوكلية الناشئـة حديثاً بزعامـة الإمـام يحيى بـن محمد حميد الدين، لضـرب الانتفاضـات الشعبية، وقمـع الحركات الوطنية، التي نشبت هنا وهناك في الحياض الوطني، بعد أن تراءى لها قتامة الوضع الذي يسعى ثائر الأمس وحاكـم اليـوم، إلى فرضـه علـى أبنـاء الشعب الذين ناضلوا طويلاً ضد الأتراك، فإن هذا الجيش لم يكن في أحسن حاله مـن إخوانه المدنيين، إلا ما قد يوفـره الانضباط العسكري في مراحـل لاحقة من خلق فرص أفضـل لمتطلبات تغيير الواقع مـن خلال فوهـة البندقيـة وبالرجـال الذين اراد الطاغية أن يتحامى بهم ويحتمي فيهم من غضب الشعب ومع انفتاح نافـذة لاستنشاق هواء طلق ورؤية الدنيا بعيون بصيرة مبصرة بعيداً عن ضبابية الانغلاق ومن فوق أسوار العزلة المفروضة بذهاب أول بعثة يمنية عسكرية إلى العراق عام 1936م، تغـيرت مفاهيم عديدة وترسخت قناعات وطنيـة جديـدة في عقـول وافئدة ذلـك الرهط مـن أبناء القـوات المسلحة الذاهبين إلى العـراق وتألفت البعثة من "15" شخصاً برئاسة محـي الدين العنسي، ثم ارسلت بعثـة ثانية في العام التالي مكونة من "5" أشخاص برئاسة زيد عنان، ولما انهت البعثة الأولى مدة الدراسة بعد سنتين طلبـت العراق من الامام يحيى مد الفترة عاماً آخر للعمل مـع الجيش العراقي ولكن الإمام يحيى استعجل الحكومة العراقية بحجـة الإحتياج إليهم في الجيش الجديد، الجيش الدفاعي الذي كان انشئ عام 1936م، ومن بين الذين تم تدريبهم في العراق أحمد الثلايا ومحمد العلفي وحسن العمري وعبـدالله السلال وحمود الجائفـي ومحمد عامر وأحمد اسحاق وأحمـد الآنسي ومحمد الربيدي وأحمد المروني وأحمد طاهـر ومحمد حجر، وقد استشهد بعضهم فيمـا بعد في الثـورات التي قامت ضد الحكـم الإمامي. "سلطـان ناجي، التاريـخ العسكري لليمـن 1839م ـ 1967م صـ 119" وبعـد عودتهـم إلى أرض الوطن وزعـوا بين الجيشـ المظفر والجيش الدفاعـي أو في الخدمة الشخصية عند الإمـام وبدأ بعضهم يقومون بالفعل بوضع الخطط الجادة لتعديل نظـام حكم الامامة "سلطان ناجي، صـ 120" وقد شارك أفراد مـن هذه البعثة في أحداث أول ثـورة دستوريـة في اليمـن والمنطقة العربيـة في فبراير 1948م، بالإضافة إلى شخصيات عسكرية مدنية اخرى وكان لحركـة الأحرار اليمنيين القدح المعلى في تفجير هذه الثـورة ورغم النهايـة المأساويـة أو مصـرع الابتسامة كما وصفهـا الزبيري، فإن هذه الثـورة كانت بمثابة الحجر الذي القي في ماء آسن فأحـدث هزة ربما لم تحرك الأعماق بقوة ولكن الدوائر التي ارتسمت على سطح الماء اصبحت بمرور الزمن عوامل اثارة وتحريضـ والذين جاءوا بعد الانقلاب كان عليهـم ان يخطوا الخطوة الثانية، فالذين سبقوهم على الدرب تلقـوا هول الصدمة الأولى التـي يكابدها كل من يحلـم بنقـل الواقع إلى افق جديد قبـل ان تتوفر له جميع مسبباتـه وإذ كان البعض يرى إن هذه المسألة بالذات هي مقتل حركة الأحرار إلاَّ أنها في نفس الوقت مبرر بطولتهم، وإذا كنا لانقـدر إلا النجاح فإننا سنلتقي بأروع الصفحات من تاريخ العرب ومن تاريخ الإنسانية "اسرار ووثائق الثورة، صـ 32 ـ 33" وقام الجيشـ أو قطاع منه في حامية تعز بانقلاب عاصف في مارس ـ ابريل 1955م بقيادة العقيد أحمـد يحيى الثلايـا، كان مصيره هو الآخـر الفشل وقد ذهـب الثلايا ضحية لصراع سيـوف الإسلام على الحكم وبغض النظر عن مقاصد سيف الإسلام عبدالله بن يحيى حميد الدين وارتباطاته المشبوهة بالدوائر الاستعمارية فإن النـوازع والنوايـا الوطنية للثلايا كانت هـي المحرك الأول للانقـلاب ويكفي ان نلقي نظرة على البيـان الذي اذاعه الثلايا مـن إذاعة تعـز لنـدرك المرامي الوطنيـة والقومية التـي دفعته للقيام بحركته الانقلابيـة والتي سقط بسببها شهيداً على مذبح الحرية والانعتاق من الظلم الإمامي "نص البيـان في نهاية الورقة البحثيـة" وكانت الدفعة الاولى ممن ضربـت اعناقهم في ميدان الشهـداء بتعز على جريرة هذا الانقـلاب تضم: الضابط عبدالرحمـن الباكري، الضابط محسن الصعر، الضابـط محمد ناصر الجدري، قاضي تعز يحيى السياغي السكرتير الخاص لسيف الإسلام عبدالله .. علـي حمـود السمة الشيـخ علي حسن المطـري قائد حرس سيف الإسلام، عبـدالله شيخ الغول، عبدالرحمن الغولي، الضابط حسين الجنائي، القاضي حمود السياغي، القاضـي الدفعي راجع كتاب "أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية لمؤلفه الاستاذ أحمد السقاف" وبالرغم من النهاية المأساوية للانقلاب فإن محاولات الطلائع الوطنية في الجيش اليمنـي لقلب نظام الحكم الإمامي لم تتوقف البته وكانت محاولة الضباط الثلاثة عبـدالله اللقية ومحسن الهندوانة ومحمـد العلفي في 22 مارس عام 1961م هي الأجرأ والأشجع عندمـا نصب الثلاثة كميناً للإمـام أحمد أثناء زيارته لمستشفى الحديدة واطلقـوا عليه رصاص اسلحتهم الناريـة فأصابوه وبقـي الامام على اثر هـذه الحادثة طريح الفراش حتى وفاته في 19 سبتمبر 1962م.

إن التاريـخ المشبع بروح المقاومـة الوطنية والتي تصل في بعض الحالات إلى اجـتراح المعجزة من اجل إسقاط نظام كهنوتي ظالم يقدم شيئـاً ذا نفع للبلاد منذ تسلمه الحكم عام 1918م، قد دفعت فصيلاً متقدماً من أبناء القوات المسلحة للعمل السري المنظم ضمن خلايا تنظيمية صغيرة مستفيداً من دروس الثـورات والحركات السابقة ومدفوعاً بوح فدائية تستلهم تراث الابـاء والاجداد وتتأثر بمعطيات الحركة القومية المعاصرة وخاصة حركة الضباط الأحرار في مصر من أجل تغيير جـذري للأوضاع يجتث جذور نظام آل حميـد الدين بمعاول الهدم العصريـة ويضع البلاد في مكانهـا اللائق بين دول العالم، فقد بينت محاولات ترقيع النظـام واستبدال الإمـام بإمام آخر عقم هـذا المنحى في التفكـير السياسي واتجهت أنظار "منظمة الضباط الأحرار التي تأسست في ديسمبر عام 1961م" جلوبو فسكايا، سلطان ناجي، التاريخ العسكري، ص206"، إلى إقتلاع نظام الحكـم الإمامي من منابته وإقامـة نظام جمهوري في البلاد.

وجـاءت ثـورة 26 سبتمـبر 1962م مستلهمة كل التراث الوطني الثوري والتحـرري للشعب اليمني حيث كانت شرائـح المجتمع وفئاته من حرفيـين وتجار وفلاحين وطلبة ومثقفـين، ورجال قبائـل وبعض الأسـر الاقطاعية والمشائخ الكبار والاقطاعـيين المتنورين تطالب بالتغيير، إلا أن الفئة التي كتب لها أن تكون العامل الحاسم والقائد في تفجير الثورة هي الجيش الإمامي وبالذات الفيصل المتقدم المندرج تحت لواء ماعـرف بمنظمة الضباط الأحرار السرية "خالد القاسمي الوحدة اليمنيـة حاضراً ومستقبلاً" دار الثقافـة العربيـة، الطبعـة "3" 1988م م صـ 50، وهكـذا استطاع الضبـاط الأحرار في الجيشـ ان يصنعوا يوماً قدريـاً وملحمياً في تاريخ الشعب اليمني وان يؤسسوا لعهد من الحيـاة الاجتماعية والسياسيـة والاقتصادية في الوطن اليمني تستجيب لرغائب وطموحات أبناء الشعب اليمني.

جدلية ترابط الثورتين:

تكتسب الثـورة ـ أي ثورة ـ أهميتهـا من خلال عاملين اثنـين حجم الازاحة مـن التركة المثقلة للأنظمـة السابقة التي يتحتم عليها إزالتها عن طريق تطور المجتمع والأهداف والآفاق، الأهداف المحتملة التي تندرج فيها وتصل إليها، والآفاق الرحبة التي ترمي إلى الوصول إليها.

وحدثا سبتمبر وأكتوبر يكتسبان العاملين معاً مما يجعلهما ثورة بكل معاني الكلمة نظرياً وعلمياً وعملياً "محمد سعيد شكـري، الايديولوجيـا والثورة اليمنيـة ـ التاريخ والآفاق نـدوة الثورة اليمنيـة .. آفاقها المستقبليـة ومعوقاتها أكتوبر 1996م" والأوضـاع الراهنـة لايمكن أن تفهـم بعمق إلا على ضـوء جذورها التاريخية والنظـرة إلى المستقبل لايمكن أن تكـون منسجمة مع تطلعات الأمة إلا إذا دخلـت ضمن اطار هـذه الصيرورة التي تربط الأبعاد الزمنية للحياة اليمنية علمياً وواقعياً بكشـف القوانين الخاصة بالتحـرك التاريخـي "د. يحيـى طاهـر سحويـل الحركـة الوطنيـة واثرهـا على حركـة 26 سبتمـبر 1962م في ج ـ ع ـ ي ـ، دراسـات وشهـادات للتاريخ مركز الدراسات والبحوث اليمنية مكتبة الجماهـير، بـيروت، ط1،1982م، صـ 30، 31 لقـد صنعـت ثـورة السادس والعشرين من سبتمبر بنضوج مقومات انتصـاره الموضوعية والذاتية في شمال الوطن اليمني جسراً يعبره الثوار لتحرير عدن وبقية أجزاء الجنوب اليمني المحتل من قبضـة الاستعمار البريطاني بتوفير الأرضيـة الصلبة لتحركات الثوار والعمق الاستراتيجي الذي يلجأون إليه ويتحركون من خلاله والدعم العسكري واللوجستـي والدعائـي الـلازم لتغطية فضـاء المعركـة مـع الأعداء وقـد كتب الأستـاذ عمـر الجـاوي في هـذا الاتجاه شارحـاً ترابط الثورتـين وتلازمهما المطلـق ودور الجماهير اليمنيـة في كل مـن صنعاء وعدن وفي دعم ثـورة سبتمبر حـال قيامهـا: "غيرت ثورة 26 سبتمـبر عام 1962م المجيـدة في شمال الوطن اتجاه الاحداث في جنوب اليمن وبتأسيس أول جمهورية في الجزيرة العربية ارتفع المد الثوري إلى مستوى عال فلقد انتفضـ الناس انتفاضات عارمة في جنـوب الوطن أسـوة بشمالـه في دعم الجمهوريـة الفتية دون اعتبـارات لظـروف الإرهاب والـدم الذي لم يجف بعـد فالطبقـة العاملة في عـدن كونت فصائـل عديدة من المتطوعـين الذين أرسلوا إلى الجمهوريـة بعشرات الآلاف من العمال والفلاحين والمثقفين والطلبة واتجهت النشرات

والكتيبات والمنشورات التي يصدرها مؤتمر عدن للنقابات لنشر اخبار الاحداث في الشمال كما وزع في عدن بيان باسم المؤتمر العمالي يؤيد النظام الجمهوري ويطالب العمال وجماهير الشعب بالتطوع لحماية جمهوريتهم ولقد جمد الاستعمار الانجليزي مؤقتاً كل القوانين بما في ذلك قانون منع التبرعات، لذلك لأن المد الجماهيري قد وصل في عدن مرحلة كبيرة وكانت الجمهورية بعد الاحداث الدموية بمثابة عودة الأمل في النضال الجاد من أجل تصفية الاستعمار وعملائه، فقد رأى العمال في جمهورية الشمال جمهورية للشمال والجنوب وشكلت بالنسبة لهم القاعدة الثورية من اجل تحرير جنوب البلاد وإعادة توحيد اليمن لقد انتقل معظم قادة مؤتمر عدن للنقابات وزعماء المنظمات الاجتماعية والنقابيين إلى شمال الوطن للتعبير عن تأييدهم ومساندتهم للنظام الجمهوري الجديد وأكثر من ذلك تحول بعضهم إلى قادة عسكريين للدفاع عن الجمهورية الصحافة النقابية في عدن 57 ـ 1967م مؤسسة 14 أكتوبر 1963م، ص 60، انه من الصعوبة بمكان ان يتخيل الانسان ـ مجرد التخيل ـ قيام ثورة 14 أكتوبر 1963م، بعد سنة من انتصار في شمال الوطن، بصيرورة الكفاح الثوري المسلح الذي خاضته طلائع النضال الوطني طيلة أربعة أعوام تكللت بالاستقلال الوطني في 30 نوفمبر 1967م، بدون دعم واسناد وغطاء كامل من جمهورية سبتمبر والطلائع الوطنية والثورية وبدون دعم مماثل اضطلعت به الشقيقة الكبرى مصر عبدالناصر انطلاقاً من شمال الوطن هذا الدور الوطني والقومي يراد له أن يهمش لاسباب ايديولوجية وسياسية تطفح بالمغالطة التاريخية في كتابات بعض من تسلموا الحكم في جنوب الوطن وطبعوا مرحلة الكفاح بزاوياهم السياسية خلافاً للحقيقة والتاريخ ولذلك فإن من يؤرخ لثورة سبتمبر وأكتوبر اليمنيتين فانهما ستدخلان التاريخ ولذلك باعتبارهما حلقتين مترابطتين في سلسلة الثورة اليمنية العامة على مستوى الوطن اليمني كله ومقدمتين ضروريتين للثورة الوطنية الديمقراطية الشاملة وحالتين من حالات الخروج العاصف والنهائي من مأساة الاغتراب التاريخي والوطني التي عاشتهما اليمن قروناً د. "د.الشهاري ص 31" وإذا كان الاغتراب الذي أشار إليه الشهاري يعني بالنسبة لنا، حالة الشتات والتمزق والتشطير، وهي حالة ثورية اخرى يتطلب احداثها في صميم اليمن الجمهوري والمستقل في الشمال والجنوب لإعادة تحقيق وحدتهما الوطنية على أسس ديمقراطية وهو ما تحقق بفعل الإرادة الوطنية للشعب اليمني بزعامة أبنه البار الرئيس علي عبدالله صالح في يوم 22 مايو 1990م دون حاجة لخروج عاصف إلى الوحدة بقدر ما تطلب الأمر دخولاً حكيماً إلى مجرياتها، على منوال ما تحقق فعلاً.

لقد احتضنت صنعاء السبتمبرية ـ كجزء من واجبها الوطني تجاه الاجزاء المحتلة من الوطن القوى الثورية بغية تنظيم صفوفها لمعركة التحرير، ولم يكن محض مصادفة ان يصدر قرار جمهور بتاريخ 24 إبريل 1963م يقضي بتعيين قحطان الشعبي مستشاراً للرئيس عبدالله السلال لشؤون الجنوب "لقد كان لهذا القرار دلالة هامة بالنسبة لحزب الشعب الاشتراكي وحلفائه لأنه اكسب عضواً بارزاً في حركة القوميين العرب شرعية الاشراف على علاقة الجمهورية الجديدة بجنوب اليمن وتم فتح مكتب له في العاصمة مما يدل على أن القيادة المصرية كانت حينذاك أكثر ميلاً لتنظيم القوميين العرب في الجنوب على الرغم من أن حزب الشعب الاشتراكي وحلفاءه كانوا يتصدرون النضال السياسي في عدن لإفشال محاولة إقامة اتحاد الجنوب العربي "القاسمي ص52، سلطان ناجي 265 ـ 282 وتمكن قحطان الشعبي من تأسيس الجبهة القومية وقد سقط العشرات منهم شهداء وهم يحاولون خرق الحصار المفروض على صنعاء من قبل الملكيين، وعن ذلك تحدث الأستاذ عمر الجاوي في ندوة عن حصار صنعاء نظمها مركز الدراسات والبحوث اليمني قائلاً: "كان بعض الأخوان الذين طردوا من عدن باعتبارهم تنظيماً شعبياً أو جبهة تحرير، كانوا يتمركزون في تعز أو في المناطق الغربية من عدن، عندما جاء الحصار دخل هؤلاء ضمن من دخلوا كفريق لوحدهم بقيادة "هاشم عمر" وكان معهم النعمان ـ محمد عبده نعمان ـ ودخلوا مرتين في الحملة التي ارادت لتحرير الجنوب اليمني المحتل في صنعاء في أغسطس 1963م من تكوينات سياسية وقبلية متباينة كانت حركة القوميين العرب الابرار بينها والتركيب الطبقي للجبهة القومية حسب رأي عمر الجاوي قد رغب مصر في تقديم المساعدة للجبهة، ففي بداية الكفاح المسلح ضمت الجبهة القومية بين صفوفها مجموعة من الفئات ذات الاتجاه القومي الذين كانوا يتلقون جزءاً من توصياتهم من قبل الضباط المصريين في تعز وقعطبة والبيضاء وغيرها "ص80" وعلى الرغم من إيمان الجبهة القومية بالخط الوطني المتمثل بالوحدة اليمنية في ميثاقها الذي صدر في 26 يونيو عام 1965م عن أعمال المؤتمر الأول للجبهة إلا أنها ربطت ذلك بقيام دولة مستقلة في جنوب الوطن أولاً،وكأننا بحاجة لإضاعة الوقت وتشتيت الجهد لعقدين آخرين من الزمان قبل أن ننجز حلم الشعب اليمني في الشمال والجنوب بتحقيق الوحدة اليمنية جاء في الميثاق "أكدت الجبهة القومية في ميثاقها الوطني أنها بعد الاستقلال إعادة توحيد اليمن ستبني المجتمع الاشتراكي حيث ينتهي استغلال الانسان لاخيه الإنسان) الجاوي ص 81 راجع الميثاق في نهاية البحث.

لقد ساهمت القوى الوطنية في الدفاع عن الثورة والجمهورية، في نفس الوقت الذي كانت فيه جمهورية سبتمبر تقدم دعمها اللا محدود للنضال التحرري الذي خاضه شعبنا اليمني في جنوب الوطن ضد الاستعمار البريطاني، ولعله من المناسب ان نسجل الدور الذي قام به مقاتلوا التنظيم الشعبي وجبهة التحرير لفك الحصار عن صنعاء فور نزوحهم إلى شمال الوطن بعد انكسارهم في الحرب الاهلية الثانية في عدن مع الجبهة القومية التي تسلمت السلطة ابتداء من الثلاثين من نوفمبر 1967م، ان تشق طريق تعز إلى "نقيل يسلح" وتحتل النقيل وباعتبارها جبهة تحرير وتنظيم شعبي، وليس باعتبارها جزءاً من المقاومة الشعبية أو جزء من الجيش أو غيره، وللأسف قتل منهم "45" وجرح أغلبهم وفي المرة الثانية "50" وجرح أغلبهم ونقلوا إلى مستشفى إب" ص 190.

لقد حددت ثورة سبتمبر منذ الوهلة الأولى لقيامها حقيقة توجهها الوطني كثورة شاملة لاتعترف بالحدود التشطيرية المفروضة على اليمن وأهله، وعبرت عن خطها الوطني المعلن صبيحة يوم السادس والعشرين من سبتمبر 1962م، كما جاء ضمن أهدافها الستة أو في بيانها إلى الشعب اليمني، على اعتبار أن (الثورة ليست ثورة فرد أو أفراد اطلاقاً، أنها ثورة الشعب كله، ثورة الجنود والقبائل، ثورة المدنيين والموظفين الصغار، ثورة التجار وطلاب المدارس، ثورة المهاجرين المشردين في أنحاء العالم، ثورة شعبنا العربي في اليمن جنوباً وشمالاً، ثورة في جمهورية عربية يمنية، تؤمن بالله وتؤمن بالقومية العربية، ثورة تفضي على التفرقة بأنواعها، فلا زيدية أو شافعية، ولاقحطانية ولاهاشمية، ولا رأسمالية.

بل شعب واحد يؤمن بأنه جزء من الأمة العربية وباسم الله ثم باسم الشعب قامت الثورة، ومن الله تستمد العون والتوفيق لمجلس قيادة الثورة) أحمد السقاف، أنا عائد .. ص 81 ـ 82 وقد انخرط الكثير من أبناء المناطق الجنوبية والشرقية، من ردفان والضالع ولحج وعدن وأبين وحضرموت وشبوة في معارك الدفاع عن الثورة والجمهورية، تماماً مثلما كانت صولات الثوار في شوارع عدن تضم نسيجاً مؤتلفاً من الفدائيين من مختلف المناطق اليمنية ولذلك نستطيع القول أن واحدية الثورة وجدلية ترابطها يمخر في عباب التاريخ النضالي للشعب اليمني طوال تاريخه الطويل، وتخريج هذه الحقيقة ناصعة للعيان، ليس من صميم البيانات النظرية في سفر الحركة الوطنية اليمنية،وإنما بالدماء التي عمدت مطلب الوحدة اليمنية على مرّ الأوقات.

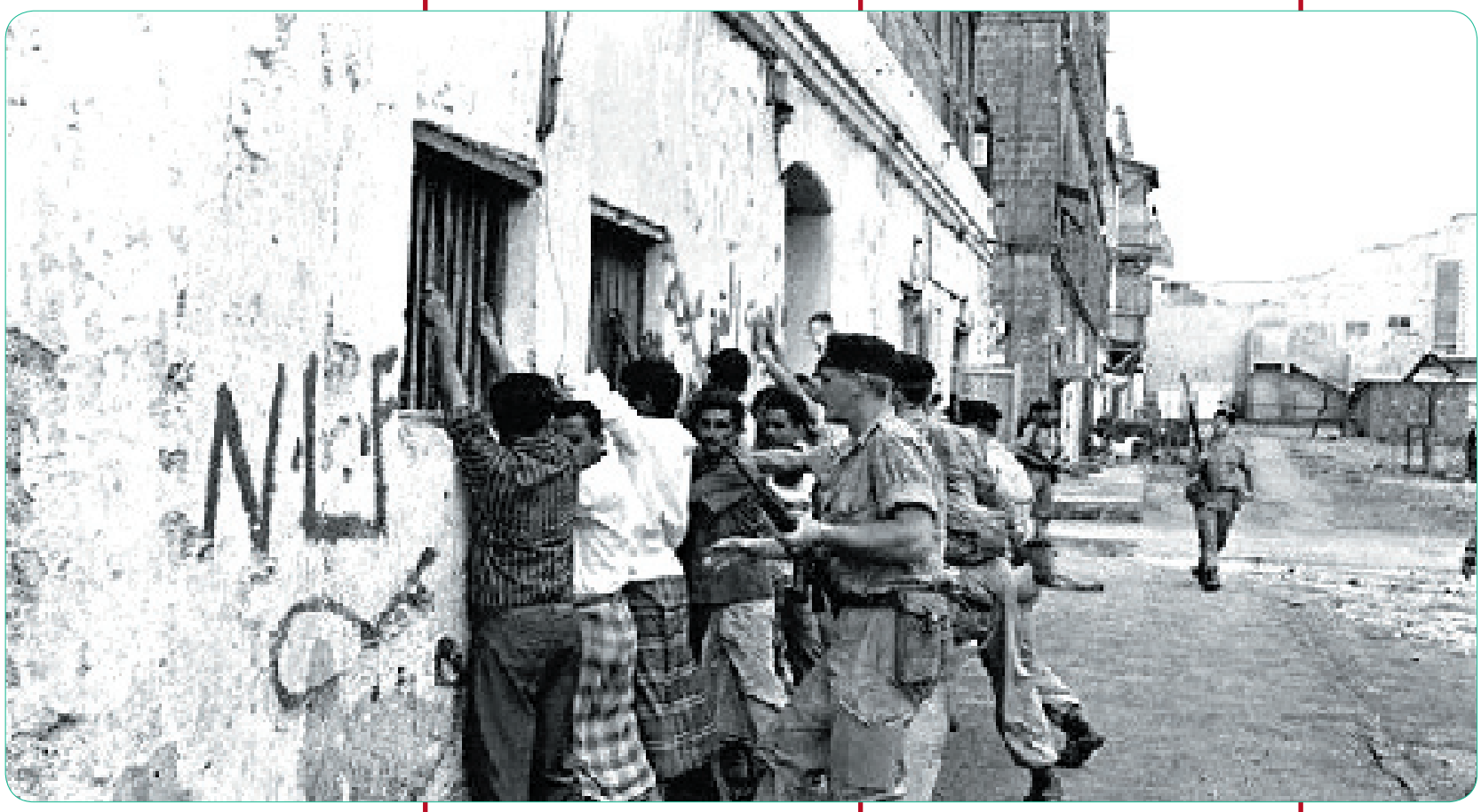

المراجع:

1) كلمة الرئيس علي عبدالله صالح في الندوة التي نظمها مركز الدراسات والبحوث صنعاء 1989م.
2) د.سلطان ناجي، التاريخ العسكري لليمن 1839 ـ 1967م، جلوبو فسكايا.
3) أسرار ووثائق الثورة، مجموعة من الضباط الأحرار، مركز الدراسات والبحوث اليمني.
4) د. محمد علي الشهاري، الخروج من نفق الاغتراب واحداث ثورة ثقافية في اليمن، بيروت 1983م.
5) أحمد السقاف، أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية، الطبعة الخامسة، الكويت 2002م.
6) خالد القاسمي، الوحدة اليمنية حاضراً ومستقبلاً، دار الثقافة العربية الطبعة 3 ـ 1988م.
7) عمر الجاوي، الصحافة النقابية في عدن 57 ـ 1967م، مؤسسة 14 أكتوبر ـ حصار صنعاء ـ شهادات للتاريخ، مركز الدراسات والبحوث صنعاء 1989م.
8) د. سلطان عبدالعزيز المعمري، العمق التاريخي لدولة الوحدة بحث مقدم إلى الندوة العلمية "اليمن .. وحدة الأرض والإنسان عبر التاريخ" جامعة عدن 2001م.
9) محمد علي لقمان "قصة الدستور اللحجي".
10) د. عبدالغني غانم، مجلة سبأ العدد 8 ديسمبر 1999م.
11) د. أحمد القصير، مجلة الحكمة، العدد "221" 2002م.
12) د. ربجي طاهر سحويل ـ دراسات وشهادات للتاريخ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، الطبعة الأولى، بيروت 1982م.

صنعاء وملحمة السبعين يوماً

عميد/
حمود ناجي سعيد

قائد سلاح المظلات في حصار السبعين يوم

مما لاشك فيه أن العودة إلى الذاكرة وبالذات إلى ثورة 26 سبتمبر1962م وما واجهته من مؤامرات يحتاج منا إلى وقت طويل كي نتذكر فيه الأحداث التي واجهت تفاصيلها منذ انطلاقتها حتى حصار السبعين يوماً.

عند سماعي لجهاز الراديو وهو يردد هنا صنعاء إذاعة الجمهورية العربية اليمنية وفي اليوم الثاني مباشرة توجهت إلى تعز "العرضي سابقاً" المركز الحربي بعد ذلك ضمن مجموعة من المتطوعين للدفاع عن الثورة والجمهورية.

وبعد ثلاثة أيام تم إرسالنا إلى صنعاء ضمن مجموعة من المتطوعين بعد تدريب على الاسلحة الخفيفة ثم تم التحاقنا بالكلية الحربية ضمن الدفعة الأولى، وبعد عام من التدريس للمعارف العسكرية على أيدي مدرسين يمنيين ومصريين تخرجت برتبة ملازم ثان وكانت الكلية الحربية هي النواة الأولى لتشكيل الجيش اليمني.

وحين بدأ الأعداء بالتحرك والتآمر على النظام الجمهوري وثورة الشعب المباركة اجتمعت قيادة الثورة وطلبت من الجمهورية العربية المتحدة مد يد العون وإرسال قوات مصرية ومعونات عسكرية لمجابهة الموقف.

في العاشر من أكتوبر عام 1963موصل إلى ميناء الحديدة أول فوج مصري وبكامل عتاده، ومن الحديدة بدأت القوات المصرية بأخذ مواقعها في المناطق المرسومة لها في صنعاء والمناطق الاخرى، كما قامت القوات المعادية للثورة بفتح عدة جبهات لزعزعة النظام الجمهوري في مناطق عدة من البلاد مثل صعدة وحجة وأرحب وحرض وعبس وبني حشيش وخولان والحيمتين وميدي وحرف سفيان وكحلان والسودة والمحابشة ورازح بل وفي كثير من المناطق.كان هدف القيادة المصرية وقيادة ثورة 26 سبتمبر هو مبدأ بناء جيش وطني يمني يحافظ ويدافع عن الثورة والجمهورية وبالفعل تم تشكيل النواة الأولى لتجميع أعداد كبيرة من المتطوعين الذين اندفعوا للانخراط في صفوف الحرس الوطني الذين لبوا نداء الثورة من كل مناطق اليمن من تعز وعدن وحضرموت والضالع والبيضاء وصنعاء وأغلبهم من العمال والطلاب.

ففتحت عدة كليات ومدارس عسكرية مثل الكلية الحربية كلية الشرطة ومدرسة المظلات ومدرسة الصاعقة ومدرسة المدفعية ومدرسة الدروع ومدرسة الإشارة وغيرها من المدارس والمعاهد العسكرية.

كما تم تشكيل بعض الالوية وإرسالها للتدريب والتأهيل في الجمهورية العربية المتحدة مثل : لواء النصر، لواء الثورة، لواء الوحدة مع بعض أفراد من المظلات والصاعقة للتأهيل وفعلاً على مدارس سنة كاملة، من نهاية 1963م حتى نهاية عام 1964م تم تأهيل هذه الألوية تأهيلاً عسكرياً على مختلف أنواع المعدات العسكرية والتدريبات الأولية لتكون النواة الأولى لتدريب القوات المسلحة اليمنية.

وبعد عودة هذه الألوية من مصر عبدالناصر أخذت مواقعها بجانب القوات المصرية بعد أن أشتد التآمر على النظام الجمهوري ودارت معارك طاحنة على مختلف الجبهات من اراضي الجمهورية العربية اليمنية، غير أن ذلك لم يثن عزيمة المدافعين عن الدفاع عن وطنهم، وطوال هذه الفترة من عمر الثورة وطوال الخمس السنوات الأولى للثورة واجهت قواتنا المسلحة والجيش الشعبي بجانب إخواننا من ابناء مصر العربية كل أنواع التحدي والمراهنات على إسقاط الثورة فدافعت ببسالة وشجاعة لاتلين.

كما لعبت الحركة الوطنية بمختلف أحزابها وتنظيماتها دوراً إيجابياً لرفد القوات المسلحة بدماء جديدة، وانخراطها في الحرس الوطني لعب هو كذلك دوراً فعالاً في التصدي لجحافل المرتزقة.

وللتأكيد المطلق بأن القوات المصرية كانت هي الشمعة التي أضاءت لنا الطريق وقدمت كل التضحيات في سبيل بقاء الثورة وانتصارها، نتيجة للمساعدة التي قدمها الشعب المصري وجيشه الباسل لثورة 26 سبتمبر1962م فإنه إذن يستحق الثناء والتقدير والعرفان من قبل الشعب اليمني.

وفي حرب اليمن لعبت القوات الجوية المصرية بل ومختلف أنواع الأسلحة دوراً بارزاً في التصدي للقوات الملكية ومرتزقتهم.

وشاءت الأقدار أن تسير الريح بما لاتشتهي السفن!

ففي الخامس من حزيران من عام 1967م تعرضت الأمة العربية لعدون غادر دُبّر لها من قبل الإمبريالية والصهيونية واحتلت جزءاً من اراضي مصر وسوريا والأردن وكانت النكسة ولكن التصميم والعزيمة ثم تثن الموقف العربي، وعلى ضوء هذه المستجدات قررت القيادة المصرية سحب قواتها لمواجهة النكسة .. وللتأكيد أن القوات المصرية عند اسحابها من المناطق النائية تركت وراءها فراغاً فتح شهية الملكية، ففي سبتمبر من عام 1967م بدأت القوات المصرية تتجمع إلى منطقة الحديدة ولكن لابد من الإشارة هنا إلى أنه في الثالث من أكتوبر من نفس العام حصل شيء مؤسف ماكان له أن يكون وهو أن انعقد مؤتمر الخرطوم للرؤساء والملوك لبحث العدوان

الإسـرائيلي وادرج فيـه بند حول القضـية اليمنيـة وكيفية إيجـاد الحلول والمخارج بحيث لايمس النظـام الجمهوري أي عـداء من قبل أحد، وعلى ضـوء ذلك شـكلت لجنة ثلاثية من السـودان والمغرب والعراق وعند وصول اللجنة خرجت الجماهير بمظاهرة من المستشفى الجمهوري وصولاً إلى القيادة العربيـة إلا أنه من المؤسـف أن المظاهرات تعرضـت لإطلاق النار وسـقطت مجموعة من الشـهداء، ثم تحولت المظاهرات إلى إشتباكات بين القوات المصرية وقوات من الجيش اليمني وكانت هذه الاشتباكات مخططاً لها بعد أن سقطت مجموعة من الشهداء المصريين حيث ان هذه الأحداث تركت في نفوس اليمنيين تأثيراً بالغاً عندما نتذكر التضـحيات التي امتزج بها الدم اليمني والمصري في ملاحم الدفاع عن الثورة اليمنية.

وفي أواخر أكتوبر وبشـكل مكثف واصلت القوات المصرية تجمعهـا إلى ميناء الحديدة وفي نهاية نوفمبر من عام 1967م بـدأ الأنسـحاب الكلـي للقوات المصـرية من أرضـ اليمن بعـد أن قدمـت مـا يقـارب العشـرة آلاف جندي وضـابط شهداء لثورة 26 سـبتمبر من مجموعة سبعين ألف جندي مصري كانوا في الجمهورية العربية اليمنية ومثلوا دعماً سياسياً للثورة.

هكـذا كان المنجـز التأريخـي للقوات المصـرية على أرض اليمـن بكل مـا تعنيه الكلمة من صـمود وتضـحيات برغم المحـن والمواجع التي واجهت القوات العربيـة أثناء تواجدها في اليمن.

البدايات الأولى للحصار ودور الجماهير اليمنية:

شـهر أغسـطس 1967م هـو البدايـات الأولى لقطع طريـق الحديـدة ـ صـنعاء من قبل القـوات الملكية واحتلالها لجبل النبي شعيب وجبل المنار وخميس مذيور ومقهاية شـغدر بقيادة المدعو أحمد السياغي.

ومـن قبـل المرحـوم المشـير عبـدالله السـلال تم اسـتدعاء قائدي سـلاح الصاعقة وسلاح المظـلات النقيـب عبدالرقيب عبدالوهـاب والنقيـب حمـود ناجـي سـعيد وأعطاهـم أمـراً باستعادة هذه الطريق لما لها من آثار سـلبية على نفوس الجماهير وبقـاء النظام الجمهـوري وعلى إثـر ذلك تم تجميـع القوات من أفراد الصاعقة والمظلات وسلاح الـدروع والمدفعيـة وبعضـ من قبائـل قيفة مع الشـيخ الذهب وتحركت هذه القوة واسـتعادت هـذه المواقـع وتم التمركـز على أجنـاب الطريـق وفي المواقـع الاسـتراتيجية علـى أن هـذه القـوات قد ظلت في مواقعها في طريـق الحديدة ـ صـنعاء حتى بداية حصار صنعاء.

الخطة الملكية

تلاحقـت الأحداث بسـرعة مذهلة بعـد انسـحاب القوات المصرية وبدأت جحافل الأعداء قفزاتها من أقصـى الشمال إلى أسـوار العاصمة صـنعاء تاركة وراءهـا مناطـق جمهورية ليس لهـم أي تأثـير فيهـا أو موطـئ قـدم، لكنهـم بالمال والسـلاح والترغيب والتخويف استطاعوا الدخول إلى هذه المناطق.

وكان هدفهـم مـن ذلـك هـو السيطـرة على الجبال المحيطـة بالعاصمـة صنعاء لوضع استحكاماتهم ومدافعهم بعيدة المدى وقطع الطرقات الرئيسية وضرب الثكنات العسكرية والمطارات وضرب محطة الإذاعة وكذا ضـرب المنشـآت الاقتصـادية وغير ذلـك، كما كانت تهـدف إلى دفـع القبائل للتمـرد عن طريـق إغرائهـا بالمال والسلاح وقطع التموين عن العاصمة صنعاء والقيام بعمليات تفجير داخل العاصـمة صـنعاء لإيجاد الرعـب والإرباك في صفوف المواطنين.

كما عمل المرتزقة الأجانب على تدريب فلول الملكيين على مختلف أنواع الأسـلحة الخفيفة والمتوسـطة والثقيلة والألغام والقنابـل ذات الصـنع الأمريكـي والإنجليزي.

كمـا تم تدريب قـوات الملكيين على حرب العصـابات "الحرب الخاطفة".

وعليه وضعت الخطة العسكرية لإسقاط العاصمة صنعاء من قبل المرتزقة الأجانب بقيـادة العميل "كاوانـدي" حيث كان المرتزقة يراهنون على شرط النجاح للخطة بعمل سريع ومفاجئ.

خطة قواتنا:

1) تشـكيل قيـادة جديـدة لمجابهة الموقف ومستجداته.

2) سـحب القوات النائية إلى العاصـمة صنعاء لتشكل خطاً دفاعياً اقرب عن العاصمة.

3) وضـع خطة عسـكرية حول المرتفعات الاستراتيجية التي تحيط بالعاصمة صنعاء.

4) توفير الإمكانيات الأساسية للمقاتلين بما فيها الذخيرة والسلاح.

5) إرسـال وفـد للـدول الصـديقة والشـقيقة لشـرح الموقف على ضـوء المسـتجدات وتقديم دعـم معنوي ومادي وعسكري.

6) الإسـراع بتشـكيل المقاومـة الشـعبية على أسـس صـحيحة والتي تعتبر رافـداً مقاتلاً بجانب القوات المسـلحة والتي تم تشـكيلها من الطلاب والعمـال والفلاحين والتجار التـي طرحت بعد نقاش مسـتفيض وحظيـت بموافقة جميع الحاضرين عليها ليتم بعد ذلك مجابهة الموقف، وتم بعد ذلك توزيع قواتنا على الشكل الآتي:

حضـور فخامة الأخ الرئيس علي عبدالله صالح للمشاركة في الندوة

كلمـة الترحيـب .. من قبل رئيس الجلسـة اللواء حسـين محمد المسوري

ايها الاخوة مناضلوا الثورة اليمنية ..

يشـرفنا جميعاً أن يحضـر إلى هذا اللقـاء، زعيم هذه الأمة وباني نهضـتها، ومصـحح مسـارها، الرئيـس القائـد الأعلى للقوات المسـلحة، المشير علي عبدالله صالح، فباسـمكم جميعاً، نرحب به إلى هـذا اللقـاء، الذي اضاف حضـوره إليه بعداً أكبر، مما كنا نتوقعه، نرحب به مرة ثانية، وأهلاً به وسهلاً إلى هـذا اللقـاء التأريخي العظيم، وبحضوره سيكون اللقـاء أكثر فعاليـة، وأكثر إثـراءً لما نتطلـع إليه جميعاً في هـذا اللقـاء، وفي هـذه الندوة المباركة.

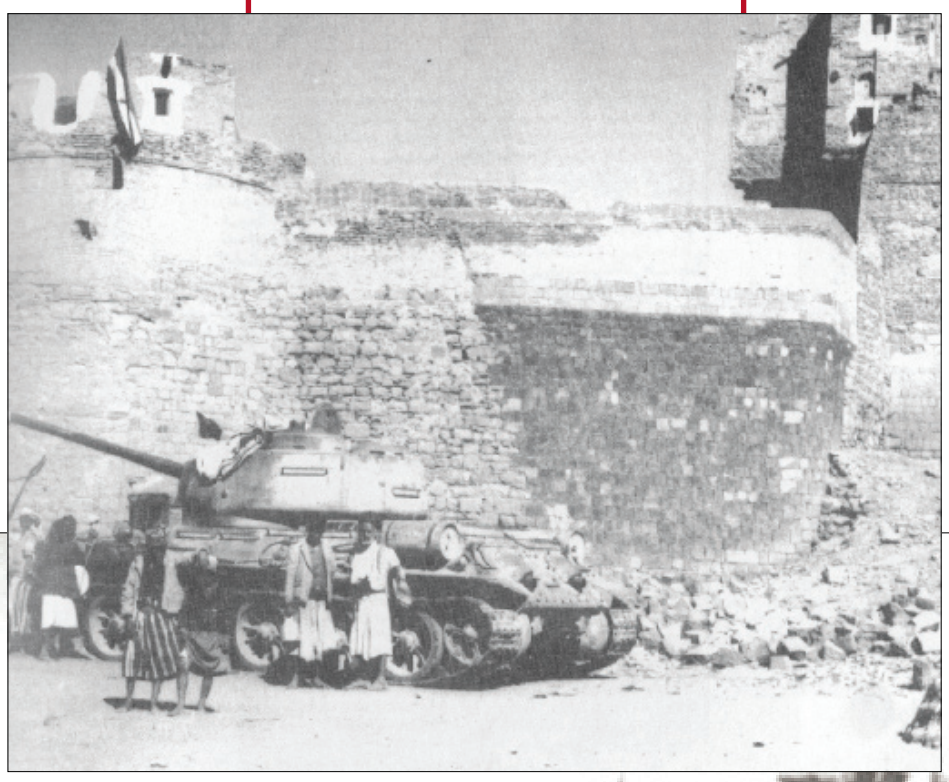

البُعد الثقافي الحضاري للثورة اليمنية

أ.د / يوسف محمد عبدالله

أنا في البداية، أعتذر عن التقصير في هذه الورقة نظراً لضيق الوقت المتاح لكتابتها ولهذا فإنني من خلالها لا أطمح في تقديم مادة غزيرة أو في بحث يتألق فكراً وعلماً ومع ذلك فإنّ المناسبة تفرض نفسها... وذلك هو عيد الثورة اليمنية المجيدة.

والموضوع كما ذكر الزملاء يستحق اهتماماً خاصاً، بحيث يفرد له كتاب مستقل يقوم به أكثر من باحث، فالخلفية الثقافية للثورة تحتاج إلى مادة وثائقية، ودور العمل الثقافي في تعزيز مكاسب الثورة يتجاوز مجرد معلومات عابرة إلى استيفاء نصوص شعرية ونثرية شكلت حينذاك الرأي العام وصاغت وجدان الجماهير التي ناصرت الثورة والتفت حولها.

وقد تفضل الشاعر والمؤرخ المعروف الصديق علي بن علي صبرة فأجمل الخلفية الفكرية للثورة عبر التاريخ بأسلوبه المكثف والرشيق وأعتقد أنّه لا يخالفني الرأي في أنّ ما ذكره يكاد أن يكون عناصر الموضوع وليس الموضوع نفسه لقد حلق كثيراً وهو العارف الخبير ولكن من الصعب أن يقع بعد ذلك في حدود بضع ورقات.

وعندما أفاض المثقف الكبير الأخ حسن اللوزي في تعقيبه كشف لنا بوضوح عن خطورة الموضوع وترامي أطرافه، بما في ذلك الإبداعات والإنجازات الثقافية بعد الثورة، خاصة والعنوان يحمل مصطلحي الثقافة والحضارة وهما تسميتان من باب المؤتلف والمختلف.

يختلف الناس كثيراً حول مفهوم الثقافة والحضارة وسيظلون يختلفون إلى ما شاء الله، ولكن في حدود هذه الورقة سأحاول ارتجالاً أن أضع معياراً للتفريق بينهما لننطلق بعد ذلك إلى الحديث عن البُعد الثقافي والحضاري للثورة اليمنية وهو العنوان الذي تكرمت إدارة الصحيفة 26 سبتمبر المرموقة ممثلة برئيسها الأستاذ العميد الركن / علي حسن الشاطر.

الحضارة جماع الإنتاج المادي المؤسسي لشعب ما، أي تلك المنجزات التي يسهم ذلك الشعب بها في تيار مسيرة الحضارة الإنسانية. إنّ المدنية حضارة، وإقامة المدن وبناء المنشآت واستصلاح الأرض وإقامة المصانع وشق الطرقات وبناء الجيوش وتصير الأمصار وبناء الدول كل ذلك حضارة وعلى سبيل المثال بناء الأهرامات في مصر وتشييد السدود في اليمن وإقامة الأبراج في العراق معالم حضارة قديمة تفصح عن حضارة راقية في تلك البقاع.

والثقافة هي تلك السمات الروحية والإبداعية التي تميز شعباً ما من خلال استمرارية تاريخه، وفي الغالب بطريقة تلقائية، وهي إبداعات فردية أو جماعية تعكس نواة متجددة وأصالة مبدعة، فالفنون والآداب والقيم الروحية والسجايا العامة والتقاليد الشعبية وأساليب الحرف اليدوية كل ذلك إبداع يتميز به ذلك الشعب ويمثل شخصيته ويعكس ذاتيته الثقافية.

وقد خطر في بالي أن استّل خيطاً من خيوط الموضوع أسلط الضوء عليه بحيث ندلل على أهمية الموضوع وعلى قصور ينبغي لمن يكتب منّا في هذا المجال أن يتلافاه حتى يتوافر مرجع شامل موثق لثقافة الثورة اليمنية انطلاقاً وتطوراً وآفاقاً للمستقبل.

هل كان الضباط الأحرار وحركة الثورة اليمنية، عموماً، شمالاً وجنوباً على وعي بالسناد الحضاري للأمة أي للشعب اليمني؟ هل كان أولئك الرواد، منذ حوالي نصف قرن على وعي عميق بالتراث الحضاري العريق لأهل اليمن؟ هل كانوا يعرفون ملامح تاريخ اليمن القديم، مثلاً، وحضارة سبأ وحمير وقتبان ومعين وحضرموت؟ هل كانوا ملمين بدور أهل اليمن الكبير في الإسلام وحملهم الرسالة وفيما نقلوه معهم من تجارب حضارية راقية شملت تصير الأمصار وفنون العمارة وتقنية الري وجر المياه وتصريفها وغيرها؟.

لا شك أنّ ثقافة ثورية كانت هناك، مستقاة من ثقافة العصر، عربية وأجنبية ومن روح الإسلام ورفضه للظلم والاستبداد وضرورة الذود عن الوطن وديار الإسلام وصد الغُزاة.

ولا شك أنّ ثقافة العصر كانت تزخر بالحديث عن الحرية والمساواة والإخاء شرقاً وغرباً، وأنّ الدعوات الفكرية السائدة، آنذاك، رغم الانغلاق والعُزلة كانت تصل إلى اليمن بطريقة أو بأخرى، وكانت مدينة عدن، رغم كونها مستعمرة بريطانية، إلا أنّها في الوقت نفسه كانت نافذة ثقافية مهمة على العالم.. وكانت الثورة المصرية تملأ أسماع الدنيا، وقضية فلسطين تلهب مشاعر العرب في كل مكان.

لقد سمعنا في هذه الندوة وهو من خير ما سمعنا، أنّ الضباط الأحرار كانوا مثقفين وخريجي الكلية الحربية.. وكان منهم من هو على صلة، على الأقل بالتوجهات والحركات القومية المنظمة، وكان لديهم قناعة أنّ الثورة ضرورة وُلدت من رحم الظروف القاسية.

والثورة ضرورة لوضع حدٍ لعهود من الظلم والعُزلة، للخلاص من الجهل والفقر والمرض.. هل التجربة التاريخية العميقة – الثقافة والحضارة – إبداعات وإنجازات قد أسهمت بطريقة مباشرة وغير مباشرة في تشكيل الوعي الثوري لدى أولئك الرواد، بحيث اكتسبوا وعياً تاريخياً عميقاً أدركوا به الفرق بين الماضي والحاضر وتمكنوا من ربط ذلك بتصورهم لواقع آنذاك بحيث أيقنوا بضرورة التغيير نحو الأفضل مستلهمين حضارة الأجداد؟ وإن ما كان عليه اليمن في الماضي من الأمجاد هو سناد ثقافي ومخزون حضاري أصيل يلهم يمن اليوم ويعزز تطلعاته؟

إنّ للشعوب الحضارية، في مساراتها التاريخية الطويلة وقفات مهمة تقتضيها ظروف حياتها وزخم تجاربها، وقفات إيجابية تحاسب فيها نفسها وتتأمل واقعها وعندما يتبينّ لها ما هي عليه م وهن وتخلف واستنقاع، تستجمع قواها وتستلهم ماضيها المجيد وتعد عدتها لتنطلق انطلاقة جديدة ولتحقق نقلة نوعية رائدة في تاريخها معتمدة على سناد ثقافي ركين وتصور معيشي جديد ومنظور اجتماعي شامل يكون بمثابة وثيقة للانطلاق وسبيل للتطور.

كل الدلائل تومئ إلى أنّ الثورة اليمنية قد استندت قدر الإمكان إلى رصيد من عراقة التاريخ القديم والإسلامي وأنّها

←

كانت تعي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة التاريخ الحضاري للأمة وضرورة السعي بقوة وحماس وإخلاص وبكل الوسائل المتاحة لجيل الثورة لاستعادة المكانة الحضارية والتاريخية لليمن وطناً وشعباً.

ومع ذلك ينبغي سبر أغوار هذا القول وتعضيده، فعلى سبيل المثال ومن الذاكرة واستشهد بمثال من تكويني الثقافي، وأنا اليوم أزعم أنني من المختصين في التاريخ اليمني حضارة ولغة وفناً.. لقد ولدت في قرية منسية، وفي صباي درست في عدن الابتدائية والمتوسطة الثانوية وفي أحسن المدارس آنذاك، ولكنني لم أتعلم في مرحلة التعليم العام صفحة واحدة من تاريخ اليمن القديم والإسلامي اللهم إلا كتيب صغير وجدته في مكتبة الوالد، رحمة الله عليه، مكتوب بخط جميل فيه تاريخ موجز جداً لتاريخ اليمن القديم كنت أقلب فيه بين الفينة والأخرى وهو لا يشفي غليلاً ولا أعرف كاتبه إلى اليوم.. ولا أنكر أنني كنت أعرف الكثير في المدرسة عن تاريخ الإمبراطورية البريطانية ولا أنكر أنني كنت أقرأ خارج المدرسة طبعاً شيئاً من شعر الزبيري وإصداراته مع النعمان وفيها كتيب للنعمان عن تاريخ اليمن وشيئاً من شعر علي عبدالعزيز نصر، ومحمد سعيد جرادة وعبدالله هادي سبيت وفي ذلك كله شحنة طيبة من الوطنية وبعض اللمع عن التاريخ اليمني.

كان ذلك في الخمسينات، وفي عدن، وهي تموج بالثقافة آنذاك، ولو لم أقرأ ذلك الكتيب المخطوط المجهول المؤلف وكان من عدة صفحات، لما فكرت أنني بحاجة لمعرفة تاريخ بلادي ولما قضيت معظم عمري بعد ذلك في دراسته.

لقد كان هناك حصاراً شديداً على تاريخ الحضارة والثقافية اليمنية في الشمال والجنوب، وأتمنى أن نتمكن من كتابة دراسة هذه المسألة بالوثائق وهذا بيت القصيد في هذه الورقة، وخاصة من خلال دراسة التكوين الثقافي للأحرار والضباط وغيرهم من المناضلين من شتى فئات الشعب.. لقد راجعت كتاب (البريد الأدبي حلقة مفقودة من حركة التنوير في اليمن) (دراسة ونصوص)، هكذا ولم أعثر في الرسائل بين رواد الثقافة المعاصرة مثل الموشكي والشامي والحضراني والموروني والعنسي على ما يغطي هذا الجانب في تلك المراسلات ليس هناك ذكراً للهمداني، ولا لنشوان ولا لسبأ ولا حمير.. وهنا أؤكد مرة أخرى أنّ إلمامي بهذا الجانب ضعيف لاشتغالي بدراسة التاريخ القديم وليس المعاصر ولكن المتتبع قد لا يرى ذلك رأي العين، وإنّما يلمحه كما يلمح ضوء القمر من خلال أوراق الدالية.

ربما أكون مخطئاً في ذلك لأنني تعلمت بعد الدكتوراه الشيء الكثير عن الحضارة اليمنية القديمة من أولئك الرواد مثل الحضراني والعنسي وزيد عنان ومحمد الأكوع وسؤالي عن هذه الثقافة في الأربعينيات والخمسينيات والتي كانت تمجد الحضارة اليمنية القديمة وتذكي الحنين إلى استعادة المكانة التاريخية لليمن.

لقد كان بعض الرواد يعلمون شيئاً من تاريخ اليمن القديم ولكن هل كانوا قادرين على توصيل تلك المعارف؟ الكتب المعروفة في تاريخ اليمن وحضارته صدرت كلها بعد الثورة حتى كتاب الويسي (اليمن الكبرى) صدر في العام الذي قامت فيه الثورة.

والأجزاء المنشورة في الإكليل للهمداني، نشر جزءان منها قبل الثورة بزمن يسير كذلك قصيدة نشوان الحميري في السيرة الجامعة.

وكان بعض العلماء والصحافيين والرحالة يكتبون عن الحضارة اليمنية كما هي الحال في مجلة المنار وكان اليمنيون، شمالاً وجنوباً يقرأون ما تيسر أو أقل من ذلك ولكنها كما يبدو لم تكن ثقافة سائدة.

لقد جاء زمن، في العصر الحديث، تطاول الليل فيه على هذا البلد الميمون وأهله، وأصابه تقادم الزمن وظلام العهود ودخل في غربتين، غربة التاريخ وغربة العصر حتى ظن حاسدوه أنّه مجتث الجذور، فاقد الذاكرة رهين كبسولة الزمن، ولكن ما أن أراد هذا الشعب الحياة وقرر أن يحمل راية الثورة على القهر والتخلف حتى أزاح كوابيس الغربة وحطم أسوار العزلة وقضى على الاستعمار والاستبداد وامتلك زمام أمره واستنهض همم ماضيه وحاضره وشحذ ذاكرته ليستنطق رموز حضارته ومفاتيح شخصيته.. أسرار الماضي وبشائر المستقبل، وما أن فك حصار الظلم والظلام وصمم على لم شتاته وتوحيد لحمته واستذكار رموزه حتى تغيرت الصورة وتبدت تلك الرموز التاريخية الباهتة للعيان ضربة لازب، كأنّها لم تكن نسياً منسياً بالأمس، تبدت رموز تلك الحضارة والثقافة وهي تتوهج في أذهان الناس وتسري في أمشاجهم وتتجلى في سجاياهم وصنائعهم، وتحولت تلك الرموز الكامنة في أعماق الأمة منذ القرون، بعد أن غذيت بوعيها وتأججت بحرارة ثورتها ونهضتها وتعزز بأصالة وحدتها، تحولت تلك الرموز التاريخية إلى مقاليد سحرية فاعلة في فتح أبواب الحاضر ونشر أشرعة المستقبل.

لقد كان من أوليات العهد البائد طمس معالم التاريخ اليمني العريق وقد روى أحد الرحالة الأوروبيين أنّه خلال زيارته لوادي الجوف سمع أحدهم يقول له إنّ الآثار القديمة مما ينبغي إزالته فهو من تراث ما قبل الإسلام والإسلام يجب ما قبله، وبلغ بهم الأمر أن سفهوا الرموز التاريخية القديمة مثل سبأ وحمير حتى أضحت كلمة حمير سبة بينهم تكاد أن تكون أكثر سباباً من سب اليهود آنذاك، وكان في الجوف بعض من يهود اليمن، فإذا قيل هذا حميري فإنّ ذلك بمقام قولهم هذا يهودي أو أكثر.

لقد أدرك الثوار أنّ الشعب اليمني ليس شعباً حديث التكوين وإنّما هو شعب عريق في الحضارة سواءً في تاريخه السبئي والحميري القديم أو في دوره المتألق في الحضارة الإسلامية فيما بعد وأن هذا السناد التاريخي هو الذي يعزز الثقة بالنفس ويسهم بشكل فعال في تشكيل وعي الناس بضرورة الثورة والتخلص من عوائق الاستبداد والاستعمار والتخلف من أجل استعادة مكانة اليمن التاريخية.

لم تستند الثورة إلى العمل السياسي والتنظيم العسكري فقط وإنّما استندت أيضاً وبوعي إلى استلهام التاريخ والتراث الثقافي في اليمن، وكذلك على الإبداع الثقافي، وفي كلا الحالين كانت أمام الثوار مسألة الهوية الثقافية، وكانوا على ثقة أنّ طلقات المدافع ستصحبها قذائف الكلمات، وأنّ إذكاء الهوية – التاريخ، التي شغلت المفكرين والأدباء قبل الثورة – هي السياج الثقافي الذي سيحتضن الثورة ويشعل أمرها، ويضع الناس حولها ويعبئ طاقاتهم لترفض الواقع الأليم الذي أجبرها أن تظل مستجدية للحياة والكرامة ورهينة للظلم والقهر والجهل والفقر والمرض.

ولا شك أنّ العمل السياسي في التحضير للثورة اليمنية، قد ارتكز أيضاً على العمل الثقافي ممثلاً في الرواد من أصحاب الفكر والقول والقلم وما الزبيري في شعره والنعمان في نثره، على سبيل المثال إلا دليل صريح على ذلك، إنّ أكثر الناس إحساساً بالهوية الثقافية الجامعة وبأهمية التراث الوطني في التحفيز للسعي من أجل الحرية والخلاص من الاستبداد والتحرر من الاستعمار هم العلماء والأدباء والشعراء والفنانون إذ هم بطبيعتهم أكثر الناس إدراكاً وإحساساً بالظلم والاستبداد والتخلف والعزلة والاستعمار، بل هم الأقدر على استلهام كوامن التراث الملهمة واستشعار الماضي والاستفادة منه وتوظيفه في خدمة النضال الوطني نحو الحرية والاستقلال وتحقيق الكرامة الإنسانية وصون سيادة الوطن في سبيل توفير حياة سعيدة.

أما اليوم وبعد أن كسرت أطواق تلك العزلة، منذ أن قامت ثورة 26 سبتمبر 1962م، فقد تمكن الإنسان اليمني في ما يجاوز أربعين عاماً من تثبيت أقدامه في مرابع الحياة الجديدة واستطاع أن ينشر أعلامه في آفاق العالم المعاصر، وبدأ الآخرون يحسون بوجوده وبعالمه الفتي الذي ينبض بروح القوة والحياة وكان مما لفت أنظار الآخرين في عالم الإنسان اليمني الجديد معالم حضارة عريقة، تتكشف كل يوم عن الشامخ والرائد، وحاضر حي يسابق الزمن ويحقق الإنجازات الجليلة، واستمرارية عجيبة تستلهم روائع الماضي وتعبق بشذاه، وفي الوقت نفسه تنضح حاضراً مفعماً بآمال المستقبل ورؤاه المشرقة.

لقد كانت الثقافة اليمنية، قبل الثورة وبعدها، أفصح أشكال التعبير وأمضى وسائله للإفصاح عن وجود شعب اليمن في هذا العالم، ومنذ أن قامت الثورة أعطت للثقافة أهمية بالغة وأكبر دليل على ذلك أنّها خصتها بوزارة، في أول تشكيل عرفته اليمن، وزارة التاريخ والآثار وإن كانت قد استغنت عنها بعد ذلك وأُنشئت للآثار والتاريخ إدارة عامة ضمن وزارة الإعلام والثقافة ثمّ أُنشئت مصلحة مستقلة للآثار منذ عام 1962م، المهم أنّ الوعي بأهمية التراث الثقافي في تعزيز مسيرة الثورة، بعد قيامها، كان حاضراً ورغم أنّ ما حدث بعد ذلك فإنّ الثقافة كانت نصب عينيها ولم تغرب عن بالها.

لقد أحيت الثورة ذكرى سبأ وحمير بعد أن تطاول العهد بها وكادت أن تكون في طي النسيان وكان لسان حالهم قول الشاعر اليمني الأمير الكندي (امرئ القيس بن حجر) الذي زار موطنه في حضرموت بعد غياب في مقر ملك آبائه في نجد العالية.

تطاول والليل علينا دمون
دمون إننا معشر يمانون
وإننا لأهلنا محبون

كان اليمن قبل الإسلام حضارة راقية ظلت ذكراها عالقة في أذهان أهل اليمن حتى بعد أن بليت وأنهارت ركائزها، وفي حقيقة الأمر فتراث اليمن القديم أصبح بعد الإسلام جزءاً لا يتجزأ من موروث الثقافة الإسلامية فكانت الملاحم والأخبار والأنساب وقصص الماضي، تصورها الناس وتذكروها، بعد الإسلام، لتعبر عن فخارهم واعتزازهم وحنينهم إلى ذلك الماضي البعيد وهي إن كانت صدى صوت الماضي البعيد إلا أنّها محصلة ثقافية تعتبر سناداً مكيناً يسعف على تذكر ماضي الأمة وربطها بإطار الحضارة العربية الإسلامية، ولم يُعد يخشى من سلبيات هذا الماضي بعد أن تجاوزت الأمة خلافات الجاهلية منذ قرون كثيرة بل وأضحت قادرة على توظيف موروثها التاريخي إيجابياً في إذكاء الوعي بالثورة وتعزيز القدرة على النضال الوطني والسعي بخطى ثابتة نحو الاستقلال والتحرر والوحدة.

كانت كتب الحسن بن أحمد الهمداني مثل "الإكليل" وكذلك مؤلفات نشوان بن سعيد الحميري مثل "شمس العلوم"، على ندرتها، هاجس الأحرار والثوار، بحيث اضحت الحضارة اليمنية القديمة وأمجادها تستلهم في نشر الوعي الثوري وحشد الطاقات الوطنية. وكان الرواد من الأحرار والثوار يقرأون أشعار الملاحم اليمنية القديمة مثل قول اسعد الكامل :

سيذكر قومي بعد موتي وقائعي
وما فعلت قومي بقيس افاعلا
وما دوخت أرض اليمامة بالقنا
وما فعلت فيه تيما ووائلا
فحمير سادات الملوك وخيرها
وهم من قديم الدهر سادوا القبائلا
ويوم لقينا العجم من أرض فارس
لقت ضيغما من آل قحطان باسلا
ونلت بلاد الهند والسند كلها
وفي الصين صيرنا نقيباً وعاملا
ونلت بلاد المشرقين كلاهما
ونلت بلاد المغربين وبابلا
وريدان قصري في ظفار ومنزلي
بها أس جدي دورنا والمناهلا
على الجنة الخضراء من أرض يحصب
ثمانون سداً تقذف الماء سائلا
مآثرنا في الأرض تصدق قولنا
إذاً ما طلبنا شاهداً أو دلائلا

جاء في مجلة الحكمة اليمانية وحركة الإصلاح في اليمن في مقال لأحمد المطاع (صـ 336) ولم تزل بعض تلك الآثار جاثمة كالخلود، تمثل لرأيها أجيالاً من ملوك حمير وسبأ ومعين والأذواء، وينشد لسان حالها قبل سؤالها :

تلك آثارنا تدل علينا
فانظروا بعدنا إلى الآثار

وما عليك أيُّها الباحث إلا أن تقف قليلاً بطلولهم الدوارس، ورسومهم الطوامس، بمعين، وبراقش، وصرواح، وسبأ، وناعط، وظفار، وبينون وغمدان كي تناجيك آثارهم، وتخبرك مآثرهم من نقوشهم المطلوسة على الأحجار، وبقية أطلالهم الثابتة على كر الإعصار، أنّهم أساتذة العالم في تلك العصور، وجاء في صفحة (348).

"وعلى كل تقدير فإنّ أجل ما كتب في هذا الباب وأقربه إلى الحقيقة، ما كتبه نشوان بن سعيد الحميري، والحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، وهما من فحول رجال اليمن وأعيانها، غير أنّه من المؤسف بل الموجع أنّ معظم ما كتبوه سطت عليه أيدي الزمان، ونوائب الأيام، وكثير من ذلك خرج من اليمن ولاذ بخزائن الغرب، لاذ ببرلين ولندن وروما واسكريال، وما بقي منه باليمن انكمش بخزائن العظماء، وانجحر في ظلمات البيوت ينادم الفئران والأرضة؟"..

□□□

((وهنا يقول القلم وهو يكاد يتعثر خجلاً، ليس أمامك أيها الباحث غير ما كتبه المستشرقون عن هذه البلاد، وذلك المجد الضارب إطنابه بالنجوم وبقية ما دونه أولئك الآباء والأمجاد، ولا أقول إنّه من العار نقل ما كتبه المستشرقون (فالحكمة ضالة المؤمن) ولكن من العار الجمود عليه والوقوف عندما رسموه، وأن نبقى عالةً عليهم حتى في معرفة بلادنا، ومهد آبائنا، ومدافن أجدادنا، أما بعد الثورة فكما نعرف جميعاً وخاصة في عهد باني اليمن الحديث الرئيس علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية الذي قال قولته المشهورة : "إنّ تاريخنا مرجع لا نظير له إذا حاولنا أن نستقي منه ملامح شعبنا وأصالته ونستنبط من خلال هذه الملامح توجهه الرائد نحو المستقبل" في عهده قامت المؤسسات الثقافية الخاصة بالآثار والتراث الثقافي الحضري وكثرت الإصدارات من الكتب ونشرت كثير من المخطوطات وعقدت الأسابيع اليمنية الثقافية في الخارج ومعارض الحضارة اليمنية واختيرت صنعاء عاصمة للثقافة العربية عام 2004م وأصبح ذكرى الماضي السعيد مادة خصبة تدرس في المدارس والجامعات وشجع فخامة الرئيس علي عبدالله صالح إصدار كتب الهمداني ونشوان بن سعيد الحميري وغيرها من كتب التراث حتى أنّه رعى ودعم شخصياً تحقيق ونشر وطبع كتاب شمس العلوم الذي دوّن ملامح خالدة من الحضارة اليمنية القديمة، وفي عهده خرج اليمن حقاً إلى المحافل الدولية وأصبحت زيارة الرئيس إلى الخارج ترسم صورة اليمن الجديد في أذهان العالم وتعزز مكانته بين الأمم بحضور مشهود وصوت مسموع، وهيهات بين الحاضر والماضي، وكلنا نتذكر سخرية أبي الأحرار الشاعر الزبيري من رحلة الإمام البدر إلى موسكو :

يبهرون الدنيا بزورة موسكو
وعليهم غبار قوم ثمود

أما أكبر إنجاز ثقافي وحضاري في العصور الحديثة فهو إحياء الحضارة اليمنية القديمة من خلال تحقيق فخامة الأخ الرئيس للوحدة السياسية للوطن اليمني الذي أضحى رمزاً مفعماً بالقوة والعزة ومكللاً بالكرامة والفخار.

وأخيراً فإنّ صحيفة 26 سبتمبر ليست صحيفة عسكرية تحمل اسم الثورة المجيدة فحسب وإنّما هي جريدة رائدة في مجال إحياء الثقافة والحضارة اليمنية وهي تجسد حقاً انطلاق الثورة وتطورها وتجددها وآفاق مستقبلها، هي صورة من يمن الوحدة والتنمية والحضارة.

ويبقى السؤال للكرام من صُنَّاع الثورة : إلى أي حد كان تكوينهم الثقافي يزخر بثقافة الماضي وروح الحضارة اليمنية؟

الدفاع عن الثورة

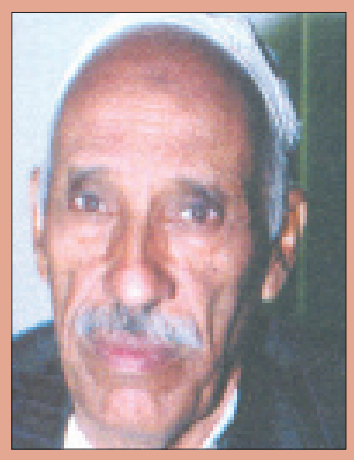

اللواء /
علي محمد الشامي

مقدمة :

أولاً : عند قيام الثورة حصلت الثورة على تأييد شعبي شامل، في الشمال والجنوب، ورفعت أعلام للجمهورية على البيوت والسيارات في الجنوب، كما أنّ مواطنين يملكون سيارات النقل في عدن أرسلوا سياراتهم مجاناً للخدمة في المجهود العسكري وبعض السيارات احترقت في سنوان ولم يطلبوا تعويضاً عنها، كما أنّ الحرس الوطني جاء من عدن ومن لواء تعز ومن لواء إب ومن ريمة وكوّنت سرايا الحرس الوطني، كما جاءت قوات الجيش الشعبي من البيضاء ورداع والحدأ ومراد وحاشد وغيرها من القُبل، ولم تكن تتحرك حملة واحدة إلا والجيش الشعبي مشاركاً فيها، سواءً كانت هذه الحملة تقودها أو تنفذها القوات اليمنية أو القوات المصرية.

ثانياً : كانت هناك معارضة، داخلية وخارجية بعد قيام الثورة ورفض للثورة إما مبدئية أو مصلحية أو جاه، أما المعارضة الداخلية فقد فقدت اتخاذ القرار بعد الثورة نظراً لمفاجأتها بالثورة، أما ما كان من خارج ولم يضيعوا الوقت وقد جاءوا، وتعرضت الجمهورية العربية اليمنية لهجوم من ثلاثة محاور :

المحور الأول : من بيحان حريب حيث احتلت حريب في اليومين الثالث والرابع واستولوا على جميع الأسلحة الموجودة في هذه المدينة أو المواقع وكانت قد زودت بأسلحة ثقيلة نظراً للاشتباكات المستمرة بين اليمن والإنجليز في تلك المنطقة.. بعدها بخمسة أيام حوصرت مأرب وسقطت أيضاص وصدت الحملة التي ذهبت لتعزيز مأرب واستشهد قائدها الأخ علي عبدالمغني، وأرسل من بيحان من قام بتلغيم الوادي في سد مأرب لمنع أي تعزيز يصل إلى مأرب أو حريب، وتطور هذا المحور إلى أن حوصرت صرواح، وقطعت الطريق من الأعروش يعني من نقيل الوتدة، واستمرت المعارك في هذا المحور حتى الانتصار الأخير في السبعين اليوم في خولان وفي بني بهلول وفي تنعم وتطور تأثير هذا المحور إلى أن وصل إلى آنس عندما كان يحصل فيها بعض التمردات والأحداث كانت ترتبط مباشرة بمحور خولان هذا المحور كان هدفه صنعاء كان يهدف إلى الاستيلاء أو الوصول إلى صنعاء.

المحور الثاني : فقد جاء (وهذا تاريخ ما يغضبش أحد) من نجران في اتجاه البقع وقسم إلى قطاعين.

القطاع الأول : بقيادة محمد بن الحسين دخل الجوف واستولى على المراكز في الجوف ونهبت كل أملاك الدولة، في تلك المنطقة بما فيها الخيل، كان فيها عدد كبير من الخيل، تملكها الدولة هناك نُهبت ووزعت في القبائل وذهب الذكور في جهة والإناث في جهة، وانتهت هذه الخيل لعدم وجود التناسل في ومن الجوف انطلقت إلى سنوان وكانت معركة سنوان الذي اعتقد ليس هناك لزوم لشرحها إلا أني أشتي أوضح أن توقف الحملة في سنوان لم يكن بسبب العدو، الحملة لو نزلت من سنوان إلى الجوف إلى الأراضي لمفتوحة لاستطاعت أن تحقق المعجزات لنّ الأرض مفتوحة وتسمح بتحرك الأسلحة والآليات هناك وهم لا يملكون مثل هذه الأسلحة، إنّما الذي حصل أنّ وادي سنوان بين جبلين صخريين كانت تمر السيارة وسط هذا الوادي فعندما وصلت الدبابات، وجدت أنّ عرض الدبابة أكثر من قعر الوادي الذي سوق تمر فيه فاصطدمت بالجانبين، وتعذر نزول الدبابة، من هذا الوادي، حتى أنّه في الهجوم الثاني نزلت القوات من وادي الحميدات الواقع شمال شرق حرف سفيان، هذا المحور تطور أيضاً بعد أن فشلوا، تكبدوا خسائر كبيرة لأنّ القشلة أحرقت بهم وهم بيقوموا بالنهب والاستيلاء على ما في القشلة من فلوس وحب وذخائر وغيرها فأحرقت القشلة فرجعوا غاضبين فنهبوا محمد بن الحسين وفي أرحب كانت هناك معارك استمرت أيضاً إلى أن كان النصر بعد السبعين اليوم. العدو عندما كان يدخل أي منطقة أو أي مركز، يبدأوا بنهب ممتلكات الدولة وقتل بعض المقاومين لهم من جنود النظام المحدود القدرة والتسليح في هذه المراكز وأنا أريد أن أقول إنّها لم تتحرك حملة لا يمنية ولا مصرية إلى منطقة إلا بعد ما يحصل الاعتداء والنهب والقتل وقطع الطرق هذه حقيقة، ومن هذا المحور أيضاً كان هناك كل فرع بقيادة محمد بن الحسين تمركز في نهم وتسبب بالأحداث التي وقعت في بني حشيش ومحاصرة مركزها بيت السيد عدة مرات.

القطاع الثاني منها : كان بقيادة الحسين، حيث انطلق في اليوم الثالث للثورة في اتجاه صعدة واحتل عدداً من المراكز كتاف وباقم ثمّ اتجه على صعدة، فتحصن جنودنا من الوحدات النظامية في حصن السنارة فوصلت الحملة من صنعاء واستطاعت أن تعيده على وائلة بالقرب من البقع.

في القطاع الأول – من المحور الثاني – كان الهدف أيضاً الوصول إلى صنعاء، لكن القطاع الثاني كان الهدف هو احتلال القفلة وبالتالي التمركز في بلاد الأهنوم وشهارة والسودة على أساس الانطلاق منها لحرب طويلة إذا استمرت كما فعل الإمام محمد حميد الدين وابنه الإمام يحيى في حربهم للأتراك.

المحور الثالث : هو – محور حرض – وفي هذا لمحور أيضاً كان الهجوم متأخراً تقريباً بعد عشرة أيام ما أذكرش التاريخ بالضبط، هو جبهة حرض، بس هزموا وما وقع الهجوم إلا بعد أن وصلت سيارةواحدة مدرعة كانت قد وصلت حرض واستطاعت برشاشها المتوسط والأرض المفتوحة أن تصدهم كانت هذه واحدة من المعارك الحاسمة، وتعتبر حاسمة لأنّ العدو لم يفكر بعدها بالهجوم من مناطق مفتوحة مثل تهامة أو أي قيعان من القيعان وعمد إلى تسلق الجبال، أنّ هذه هي المحاور التي تمّ الاعتداء على الجمهورية منها، حصلت في دمت وقعطبة أحداث بسيطة، ولكن قائد لواء إب (1) استطاع خلال الأيام أن ينهيها.

يُقال في المثل (رب ضارة نافعة) موضوع هروب البدر من صنعاء يعني كان مفيداً من ناحية أنّ القيادة أسرعت بتحرك القوات فانطلقت حملة باتجاه شبام كوكبان وحملة في اتجاه عمران كحلان، هذه الحملات كاتن مبكرة وتجهزت بعدها حملات إلى صعدة وإلى مناطق أخرى، وتحرك وزير الدفاع الجائفي بنفسه إلى المناطق الغربية يعني أنّ هروب البدر كان محفزاً للإسراع في اتخاذ القرارات العسكرية المهمة.

والحملة التي تبعت البدر إلى عمران هي التي أحبطت خطته في الاستفادة، من جيش شعبي كان قد أعد هُناك لمثل هذه الظروف من جهات الأهنوم فما أنّه وصل ليقوم بتجميعهم وإعدادهم، حتى كانت الحملة قد اتجهت إليه فأضطر إلى أن يغير خطة سيره من كحلان فاتجه إلى مسور يعني أنّه سلك الطرق الوعرة التي لن تلحق به لا دبابة ولا سيارة.

الواقع أنّ كل المعارك التي حدثت بعد الثورة، واستفادت من التفوق الجوي عندنا هذا قد أحرم العدو من أنّه يتمركز في أي منطقة لنّ حتى حرب العصابات يجب أن يكون لها منطقة محمية يتمركزون بها وينطلقون منها ويكون لها نظامها الخاص، لكن العدو فقد هذه الميزة حتى المناطق التي استولوا عليها لم يستطع أن يوجد فيها مؤسسة تنظيمية لا للجيش لا اقتصاد لا إدارة ما فيش، يعني معلق في الهواء أو مختبئ في الجروف.

ومن هذا المنطق نجد أننا يجب أن نتكلم من الموضوع نفسه، عن خطة الدفاع سأتكلم عنها كما وقعت على الواقع، يعني كم حدث على الأرض في ذلك الوقت لم تكن اليمن تملك خرائط، وجدت خريطة واحدة بقلم بخط ضابط إبراهيم خليل بيك هذه الخريطة طبعت في القاهرة، ووجدت في دار البشائر، وعندما استخدمت لأول مرة لغرض عسكري كانت كارثة، لأنّ مقياسها خطأ سواء بالمسافات أو بالزوايا فعندما نزلت قوات مظلات في صرواح نزلت هذه القوات في غير المحل المطلوب، نزلت في بني جهم، وهو بناءً على مسافة الخرائط، يعني نزلت بحوالي ثلاثة كيلو غرباً.

فالظروف كانت صعبة ومن تجربة 48م وكانت هذه عبارة عن حساسية عند الرئيس السلام بالذات، لأنّه عانى في

48م من هذه التجربة، نجد أنّ ثورة 48م ركزت على الدفع عن صنعاء بأسوار صنعاء، وتركت المراكز والمدن الخارجية من دون إدارة أو سيطرة مما سمح للإمام أحمد أن يديرها من حجة ويستفيد من مواردها المادية والبشرية فحرك الدنيا من حولهم إلى أن سقطت صنعاء ولم يستطيعوا الدفاع عنها، فكان على القيادة أن تفكر بالدفاع عن كل المراكز الحكومية، وكل المناطق وكل المدن اليمنية حتى لا تقع بمثل هذا الخطأ الذي وقعت فيه في 48م، وأذكر من حساسية الرئيس السلال لهذا الموضوع أنّه ما نشتيش أنّ عبدالله الوزير الذي اعتقلوه هم حراسة، من النظام الذي كان يحرسوه فالرئيس السلال بعد تفجير الثورة مباشرة طلب وجود تطعيم الحرس عنده بسرية مصرية، لأنّه كان لا يزال لا ينسى شيء، ثورة 48م، في الحقيقة هذه الخطة كما نقول التي وقعت أو حددت على الأرض من دون أن تقع على الخرائط، هذه الخطة كانت عبارة عن ثلاثة خطوط دفاعية، وهذا على أساس الدفاع عن اليمن وكل المراكز.

الخط الول : ويمتد من حرض – صعدة – مجز – صفراء – برط ثمّ فيما بعد الجوف، لأنّ الجوف كنا قد فقدناها لكن استعدناها – مأرب – الجوبة – حريب، هذه هي المناطق المهمة التي كان تركيز القيادة عليها في الشمال والشرق، واحتفظت القيادة أيضاً بقوة من الوحدات النظامية لا بأس بها في البيضاء ورداع وإب وقعطبة والراهدة وتعز والمندب وكانت هناك خطة جيدة للدفاع عن الحديدة بالذات وكان الدفاع عن الحديدة ساحلي وجوي يعني الدفاع الجوي لم يكن في الخطة أصلاً إلا في الحديدة وصنعاء، أما بقية المناطق فكانت الأسلحة لجوية تستخدم لمعارك البر.

الخط الثاني: كان يهدف إلى دعم الخط الأول وهو الاحتفاظ بالمناطق في كل من حرف سفيان مناطق حاشد بالكامل، لأنها كانت على خط صعدة وبرط الاحتفاظ بمناطق حجة الاحتفاظ بالشرفيين المحابشة وغيرها،هكذا اقتضت الظروف المحافظة عليها على كحلان، وكانت هناك بعض المشاكل وتعرضت المناطق لعدة هجمات فاذكر أن حجة تعرضت لحوالي 13 هجوماً، ويمكن القول إن 30% من أيام حجة حتى كان النصر في السبعين اليوم 30% كانت فيها محاصرة، وهذه المدينة لم تسقط فقط، حتى بعد خروج المصريين كما قال الأخ المؤرخ الكبير سلطان ناجي لا أدري كيف نقلت إليه بعض المعلومات أنه عندما خرج المصريون سقطت حجة.

وهذا لم يحدث، وكذلك برط أيضاً قال إنها سقطت، برط دافع عن أهلها، فالحسن عندما تراجع عن صعدة حاول أن يهاجم برط، لأن برط أيضاً من المراكز المهمة الوعرة والمطروحة حتى تصلح لهبوط طائرة، كان يريد أن يمسك هذه المنطقة حتى في النهاية تشكل منها كتيبة، كتيبة دارس، وأثناء حصار صنعاء دخلت هذه الكتيبة والتحقت بقوة الدفاع عن صنعاء.

الخط الثالث والأخير: فهو خط الدفاع عن صنعاء نفسها، وهذا الخط بدأ من كوكبان عمران بيت مران والصمع في أرحب ـ بيت السيد في بني حشيش تنعم وجحانة في خولان، نقيل يسلح ـ بوعان في المنطقة الغربية، بما فيها جبل النبي شعيب هذه كانت خط الدفاع عن صنعاء في البداية ولكن هذه الخطة تعدلت في السبعين اليوم الخط حق صنعاء تعدل لأن القيادة رأت انه لو بقيت قواتنا في بيت السيد وهي محدودة الحجم لحوصرت هناك أو في بيت مران في أرحب لحوصرت هناك وانتهت كذلك في جحانة أو في تنعم، لهذا عدلت الخطة ووضع خط دفاع قريب يمكن إمداده، ويمكن إسعافه والدفاع عنه وهو خط الأزرقين بيت هارون، والمناطق حول المطار في الرحبة، لواء الوحدة كان في الجانب الشمالي الشرقي، له مواقع في القاع مش في الجبال في الجانب الشمالي الشرقي من صنعاء، وتبة دارس كان فيها كتيبة دارس ثم نقم وبراش وعصر، أما عيبان فأوكل أمرها إلى 30 جندياً من أبناء البلاد يحرسونها، ولهذا سقطت بسرعة، كذلك كان هناك ثغرة أهملت وهي النهدين أو حدين ريمة حميد سقطت، يعني أنه تعدل الخط على هذا الأساس، كما عدلت الخطة وسحبت القوات إلى المناطق الخارجية، وهذا بناءً على المعلومات المؤكدة عن العدو، العدو عندما أراد أن يهاجم صنعاء ويحاصرها وضع ضابط من المخابرات الأمريكية خطة سميت خطة الجنادل، هذه الخطة وضعت وأحسن من يعرفها هو اللواء حسين خيران من اسمها ومن الواقع الذي حدث يمكن واحد أن يتكلم عنها، الخطة هي أن العدو شبه قواته بالسيل اللي عتجي منه فهي لها روافد عت تجمع قواته من المناطق الشمالية بكاملها إلى الجوف يتقدم هذا السيل ثم توزع كجنادل.

ـ الجندل الأول من هران ـ أرحب وتسلل من همدان لاحتلال جبل النبي شعيب.

ـ الجندل الثاني لضرب مطار الرحبة.

ـ الجندل الثالث إلى بني حشيش.

ـ الجندل الرابع في اتجاه نقم من خولان.

ـ الجندل الخامس من خولان في اتجاه جبل عيبان.

وفعلاً نفذوا هذه الخطة إلى أن انتهت وكان النصر، ويمكن أن نقول إن المعركة الحاسمة هي معركتان:

الأولى: معركة حرض كما قلت لأنها جعلت العدو يتسلق في الجبال وهذا وإن كان صعب علينا مقاومته إلا انه في نفس الوقت كان صعباً عليه هو التموين والاتصال كان هو يعاني من الجبال أو من واقع أرض المعركة الحاسمة.

الثانية: كانت هي اللي حققت النصر في السبعين اليوم، بينما هناك في كثير من المعارك في مدن كانت مدن تحاصر، ويفك عنها الحصار عدة مرات في مناطق كان قد أرسل إليها عدة حملات يعني حملة وتستبدل هذا وتكتسح هذا يعني عدة حملات لكن هذه المعارك لم تكن فيها معركة حاسمة لان الذي حسمت الأمر هي معركة السبعين اليوم انتهت.

بس أنا أشتي أقدم ملاحظة بالنسبة لصلاح المحرزي في السؤال الذي قدمه عبدالرحمن حسان ـ صلاح المحرزي ـ وبما أن موقعه انه لم يستطع أن يوضح ما أراد بقوله سرقت منه.

صلاح المحرزي هو خرج بعد الثورة كقائد لواء وأرسل باللواء حقه إلى بني بهلول، وأثناء هذا التقينا فيه مجموعة وأثناء الحديث المجاملة قال لنا بالحرف الواحد: الله يكفيكم شر العفاريت الزرق، يقصد القيادة المصرية وعندما حدثت الأحداث التي تسببت بإعدام محمد الرعيني ومن معه وبعض الزملاء هربوا من خمر مفصولين بإنذار من الجيش كان هو معه بالأزرقين أخذ اجازة من القيادة ولم يتكلم معهم بشيء وذهب إلى القاهرة وقابل عبدالحكيم عامر وقال: فصلتوا هؤلاء الضباط من الجيش، إذا كان هؤلاء سيفصلوا من الجيش فمن الذي بقي معكم؟ للدفاع عن الثورة في اليمن فجاء بتفويض من عبدالحكيم عامر على أساس أنهم يعيدوهم وبدأ الاتصال بهم إلى خمر وبدأ يحاول بعودتهم إلى صنعاء وإلى أعمالهم، ما اعتقد أنهم عندما قال سرقت منهم أنه كان يعتقد سيطرة القيادة المصرية وتصرفاتها بالنسبة للضباط .. عفواً .. وشكراً.

تنظيم الضباط الأحرار والتخطيط لانطلاقة ثورة 26 سبتمبر

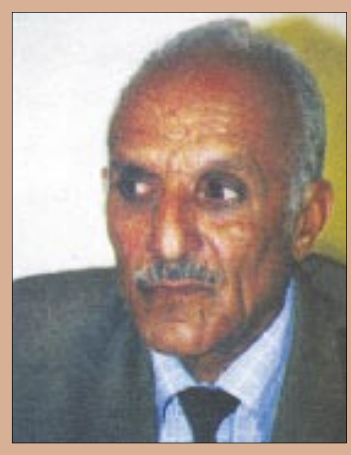

اللواء/
علي قاسم المؤيد

قبل الدخول في موضوع تنظيم الضباط أود أن أعطي صورة مبسطة عن أوضاع الضباط قبل أن يكونوا ضباطاً في أواخر الخمسينيات أي ما بعد حركة 1955م في تعز، لأنّ إيراد هذه الصورة سيساعد كثيراً على فهم تنظيم الضباط والعوامل التي ساعدت على قيام ذلك التنظيم :

1 – ساحة شرارة أو ما يسمى بميدان التحرير في صنعاء :

– هذا الميدان كان على جوانبه أو قريباً من أربع مدارس هي :

– المدرسة العلمية وتدرس بها العلوم الشرعية.

– المدرسة الثانوية ومنهاجها الدراسي تدريس مواد المدرسة الثانوية على نحو متدن وضعيف.

– المدرس2ة التحضيرية وهي كالمدرسة الثانوية.

– المدرسة المتوسطة : وتعني مرحلة إعدادية :

لكنها من الناحية العملية دون الإعدادية بكثير نظراً للمواد العلمية التي تُدرَّس فيها .. ولن أدخل في تفاصيل حولَ مستويات الدراسة والمدرسين والمناهج الدراسية والأدوات التعليمية وبصفة إجمالية كان الوضع متخلفاً جداً جداً.. من جميع النواحي.

2 – كان يُدرس في تلك المدارس ما بين 400 – 500 طالب كأعلى تقدير، 90 % منهم يعيشون في الأقسام الداخلية، أي أنهم يسكنون ويعيشون ويدرسون في المبنى نفسه الذي يدرسون فيه.

وتوفر لهم الدولة الفراش والدفاء والخبز والإدام على نحوٍ متواضع، تظل المعدة به مرتاحة طوال اليوم، ولكنها تشكو الفراغ من العمل.

ولكي ينتسب الطالب إلى أي من المدارس لابد أن يحصل على موافقة ملكية من الإمام، أو نائبه في صنعاء.. بعد أن يقدم الشهادات العادلة والموثقة بأنّه فقير ومُعدم أو يتيم وفقير ولا يوجد في أسرته من ينفق عليه.. وشرط اليتم أو الفقر أو هما معاً كان المؤهل المطلوب لتكفل الدولة إسكان الطالب وإعاشته ومصروفاً شهرياً أقصاه 3 ريالات.

وكان يوجد عدد من الطلاب لا تتوافر لهم الشروط ويدرسون من دون مقابل.

3 – فائض الوقت :

الـ24 ساعة في اليوم كانت أكثر بكثير من الوقت الذي يحتاجه الطالب لإكمال عمله اليومي، لهذا السبب فقد وجد الطلاب متسعاً من الوقت للتعارف والصداقات والتجمعات وسماع الروايات عن أحوال البلاد والعباد وما يعانيه المواطن في كسب رزقه وصحته وتعليمه، كذلك تسقط الأخبار عن أحوال الدول الأخرى والاستماع إلى راديو صوت العرب ولندن وخطابات عبدالناصر وأغاني أم كلثوم وفريد الأطرش وعبدالوهاب وغيرهم.. كما كان الطلاب يحصلون على بعض المنشورات أو الصحف المصرية أو الكتب الأدبية، ولأنّ المستقبل ما كان يعدهم بشيء لا وظيفة ولا منحة دراسية لاستكمال التعليم في الخارج أو حتى الأمل في الزواج وبناء أسرة خاصة، وأعمارهم ما بين العشرين إلى الثلاثين، فقد كانوا يجنحون إلى اليأس المقيت، أو الخيال الكاذب، ويتسلون أحياناً باللعب أو بتبادل الحديث فيما يعنيهم وما لا يعنيهم، وكانت تغريهم أحياناً كلمات الأناشيد "نحن الشباب لنا الغد" وكان كل طالب على معرفة بالآخر في مدرسته أو المدرسة الأخرى.

4 – العدوان الثلاثي على مصر أو ما يسمى معركة بورسعيد سنة 1956م :

في هذا العدوان خرج كل الطلاب في مظاهرة كبيرة زاخرة بالحماس القومي، وقدموا أنفسهم إلى السفارة المصرية متطوعين في الدفاع عن مصر والأمة العربية، غير أنّ هذا العدوان انتهى بضغط من أمريكا والاتحاد السوفيتي وكان النشيد "انتصرنا انتصرنا" ثمّ تلت هذه المظاهرة مظاهرة أخرى، خرج الطلاب وغادروا أسوار العاصمة واعتصموا ثلاثة أيام خارجها، وتمّ التصالح مع الحسن بن علي وزير المعارف على سجن ثمانية طلاب، وكان لهذه المظاهرات قيادات طلابية، تتكون هذه القيادات بطريقة لا ندركها ولا نعرف مواصفاتها، ولكنها تتمتع بثقة كل الطلاب، وهي سنة جارية ومتبعة في كل التجمعات البشرية.

5 – صفقة الأسلحة التشيكوسلوفاكية لليمن :

عقد ولي العهد (البدر محمد) آنذاك صفقة أسلحة روسية تشيكية بواسطة من عبدالناصر أو برغبة الاتحاد السوفيتي للنفوذ إلى المنطقة وأياً كان الأمر فقد وصلت شحنات أسلحة ميناء الصليف عام 1957م، بنادق، رشاشات مدافع، دبابات، ووصلت الطائرات إلى صنعاء.

تعتبر صفقة الأسلحة نقطة تحول كبير في سياسة الإمام الانعزالية، واقتضى الأمر إزاء هذا الحدث استقدام بعثة عسكرية مصرية للتدريب على الأسلحة واستقدام بعثة طيران عسكرية للتدريب على الطائرات، وتبعاً لذلك كان لابد من إعادة فتح الكلية الحربية التي أُقفلت عقب فشل ثورة 1948م، وتمّ اختيار 80 طالباً من المدارس الآنف ذكرها، و20 طالباً من الشباب العامل في الجيش للالتحاق في الكلية الحربية، وتخرجت دفعتان من الكلية الحربية الأولى سُميت دفعة محمد مطهر زيد وثانية سُميت دفعة علي عبدالمغني، على اعتبار أنّهما الأولين على دفعتيهما.

وفي الفترة نفسها 58 / 1959م افتتحت كلية الطيران من خمسين طالباً، وافتتحت مدرسة الأسلحة التي تتدرب فيها مجموعة من ضباط الشرطة الذين كانوا قد تخرجوا من مدرسة الشرطة في تعز وعدد من ضباط الجيش الذين كانوا في الوحدات العسكرية وهم المتخرجون من المدرسة الحربية قبل 1948م.

6 – ما أردت الوصول إليه، من هذا التسلسل للأحداث هو الوصول إلى الجواب، على سؤال :

مَنْ هم الضباط الأحرار الذين تكوّن فيهم؟ ومن هم الضباط الأحرار؟

إنّ الضباط الأحرار ما هم إلا أولئك الطلاب الذين كانوا في المدارس وكانوا يقومون بالمظاهرات والاعتصامات والأنشطة السياسية المختلفة.

وتعرضوا للمضايقات والسجن وكانت لهم قياداتهم التي تدفعهم لكل الأعمال، وهم الذين تكوّنت منهم الكلية الحربية وكلية الطيران وكلية الشرطة يُضاف إليهم عدد من دفعات 1961م.

المدرسة الحربية قبل 1948م والذين تعرضوا للمشاق الكبيرة والمنجزون من كلية الشرطة في تعز والتحقوا بمدرسة الأسلحة، كذلك أولاد المشايخ المناوئين للسلطة الذين التحقوا بالجيش كضباط. وعلى ذلك فإنّ تنظيم الضباط لم يذهب بعيداً للبحث عن عناصر غير معروفة لإقناعها في الانخراط في تنظيم الضباط، بغرض القيام بالثورة ضد الأوضاع الإمامية الإنعزالية. ولم يذهب بعيداً للبحث عن قيادات العمل الوطني، فالقيادات الطلابية للنشاط السياسي خلال خمس أو ست سنوات قبل الثورة هي القيادات لتنظيم الضباط، يُضاف إليهم عدد من الضباط الذين درسوا على أيدي البعثة العسكرية العراقية في الأربعينيات أو درسوا في العراق وتعرضوا للتشريد والسجن في ثورة 1948م، وحتى لا نحصر العمل الثوري في هذا القطاع العسكري، فإنّ عدداً كبيراً في أوساط الموظفين والمشايخ والتجار وغيرهم من أبناء الشعب قد شكلوا جماعات هنا وهناك، تعمل للثورة، ظهر حماسهم وتضحياتهم لحظة إعلان الثورة في صباح 26 سبتمبر 1962م.

ثانياً : تنظيم الضباط الأحرار :

لماذا تنظيم الضباط ؟ ولم يكن التنظيم العسكري ليشمل الوحدات العسكرية من ضباط وصف ضباط وجنود..؟

كانت مهام التنظيم هي استخدام الأسلحة الحديثة، الدبابات والمدفعية والمدرعات، وهي الأسلحة التي تضمنتها صفقة الأسلحة، وكان الضباط هم الوحيدون الذين أُتيح لهم التدريب على استخدامها، من جهة أخرى فإنّ الوحدات العسكرية المتواجدة وهي فوج البدر والجيش الوطني لم تكن قد تدربت على الأسلحة، ولم يكن الضباط المتخرجون في الكلية الحربية ومدرسة الأسلحة يقودون تلك الوحدات، ولا كانوا قادرين على القيام بأي نشاط فاعل في تلك الوحدات، باستثناء نشاط محدود في فوج البدر.

أما بقية الوحدات من الجيش القديم فقد كانت موزعة على القضوات والنواحي على شكل سرايا، كل سرية يقودها ضابط بأي رتبة إضافة إلا أنّ تعداد السرية لا يزيد في أحسن الأحوال على خمسين جندياً، ومهماتها ليست عسكرية، فهي تؤدي دور الحفاظ على الأمن وجباية الزكاة وغيرها من الواجبات للدولة.

لقد كان الوضع معقداً : أن يتواجد مجموعة من الضباط لا يقودون وحدات عسكرية وقيادة الجيش لا تمارس غير توزيع الجنود على القضوات والنواحي، ليكونوا تحت إمرة عامل القضاء أو الناحية.

وفي هذا الوضع المعقد كان على الضباط أن يحصروا على أنفسهم وحدهم، مهمة التخطيط للثورة وأن يقوموا هم وحدهم بالعمل التنفيذي.

لكل ما ذكرت فقد تمّ إطلاق اسم تنظيم الضباط على القائمين بالعمل الثوري، أما كلمة أحرار فهي صفة استحدثت أخيراً.

لماذا اختار الضباط كلمة تنظيم ولم يختاروا كلمة حزب؟

لقد كان الضباط في تلك الفترة متأثرين وعياً وإدراكاً بما يبثه إعلام الرئيس جمال عبدالناصر عن طريق الإذاعة والصحافة والأدبيات للحركة القومية التي كان يقودها جمال عبدالناصر.

أما الأحزاب فلم تكن قد تجذرت في اليمن، وما زال منتسبو الأحزاب السياسية آنذاك بأعداد قليلة جداً، وبالأخص في مدينة صنعاء، على أنّ بعض الضباط قد تأثر بالتنظير السياسي القومي في كتاب (معالم الحياة العربية الجديدة) للسيد منيف الرزاز، و(النكسة والبناء)، للدكتور وليد قمحاوي، وغيرها من الأدبيات القومية.

لقد كان الضباط يواجهون مهمة عسيرة غير تأسيس التوجهات القومية الوحدوية. لقد كانوا يواجهون صعوبة تغيير النظام الإمامي إلى نظام جمهوري كخطوة أولى على الطريق الصحيح.

لهذا فقد كانت تجمعات الضباط المحدودة سواءً في الثكنة العسكرية أو في بعض المنازل، تناقش إمكانية القيام بعمل عسكري ينهي نظام الإمام ويعلن النظام الجمهوري، غير أنّ الإمام أحمد كان قد ارتبط مع جمال عبدالناصر في اتحاد ثلاثي (مصر – اليمن – سورية)، وعليه اختفى صوت المعارضة اليمنية في مصرَ لنظام الإمام، وبعد انفصال الوحدة السورية المصرية أعلن عبدالناصر القوانين الاشتراكية، فهاجم الإمام القوانين الاشتراكية في أرجوزة شعرية.

أقدم عبدالناصر بعد ذلك على إلغاء الاتحاد الثلاثي وسمح لجهاز الاستخبارات للعمل ضد نظام الإمام أحمد،وسمح لإذاعة صوت العرب بمهاجمة نظام الإمام.

شعر الضباط حينها أنّ بإمكانهم القيام بأي عمل ضد الإمام، وفي حالة نجاحهم فإنّ عبدالناصر سيكون مؤيداً لحركتهم، علماً أنّ المد الناصري القومي الوحدوي كان قد انتشر في كل الأقطار العربية، وأصبح مقلقاً للرؤساء والملوك العرب آنذاك، ومقلقاً في الوقت نفسه لإسرائيل والدول الغربية.

الخطوات العملية لإنشاء تنظيم الضباط الأحرار :

1 – اعتماد السرية مبدأ أساسياً لا يمكن التفريط فيه.

2 – العمل في إطار الضباط القادرين على الفعل، وخصوصاً الذين أكملوا التدريب على الأسلحة.

3 – اختيار مجموعة من الضباط، ما بين العشرين إلى الثلاثين وتسمى هذه المجموعة بالقاعدة، وتنتخب القاعدة لجنة قيادة من 5 – 7 ضباط ولائحة داخلية تنظم الاجتماعات.

4 – يتوزع الضباط في خلايا سرية لا يزيد عدد أفراد الخلية على خمسة ضباط.

5 – يرتبط رؤساء الخلايا بالقاعدة بواسطة ضابط في القاعدة، يدعى أمين سر التنظيم.

6 – توزع ورقتان على كل عضو إحداهما شروط العضوية، والثانية توضح أهداف الثورة.

7 – يقسم العضو على الحفاظ على السرية، وعلى العمل الوطني في إطار أهداف الثورة.

تلك هي أهم الخطوات التي تمّ اتخاذها في أحد الاجتماعات أواخر سنة 1961م. وتواصلت الاجتماعات على هذا النحو، وتوسع التنظيم بتأسيس فروع له في تعز والحديدة وحجة وفي بعض المواقع المهمة كالإذاعة وقصر السلاح وبين حرس ولي العهد (البدر محمد) في صنعاء "دار البشائر".

وكان العمل يرتكز على محورين :

المحور الأول القيام بالحركة على الإمام أحمد في تعز.

المحور الثاني يقوم بحركة على ولي العهد في صنعاء غير أنّ موت الإمام في 19 سبتمبر 1962م وتقلد ولي العهد منصب الإمام خلفاً لأبيه دفع بالضباط لأنّ يقوموا بالثورة في 26 سبتمبر 1962م وهكذا كانت ثورة الشعب اليمني. وكان على تنظيم الضباط إذكاء شرارة الثورة تعبيراً عن كل تطلعات الشعب اليمني، وتتويجاً لمسار الحركة الوطنية عبر سنوات القهر والألم والنضال.

بمناسبة أعياد الثورة اليمنية الخالدة

26سبتمبر - 14أكتوبر) نتقدم بأحر التحاني لفخامة الرئيس

علي عبدالله صالح

رئيس الجمهورية

بمصر من اعتزازنا بهذا الحدث الوطني العظيم الذي شكل منعطفاً تاريخياً في بناء النظام الجمهوري وتحقيق الوحدة اليمنية ،

وبهذه المناسبة يسرني أن أتقدم باسم جميع العاملين في المؤسسة الإعلامية الرائدة والمسؤولة والطموحة التابعة لوزارة الإعلام،

مؤكداً على بذل أقصى الجهود من أجل تنفيذ البرنامج الانتخابي لفخامة رئيس الجمهورية، والاسترشاد بتوجيهاته

وتجسيد مضامين المبيرة من المعاني العليا للوطن والشعب على طريق بناء يمن جديد ومستقبل أفضل.

حسن أحمد اللوزي

وزير الإعلام